المقدمة من نور القرآن

نصيحة للمؤمنين

وبيان بزيف أسطورة العقل الباطن

عمر درويش

فهرس العناوين

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الاول

تمهيد

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور . الحمد لله الذى له ما فى السماوات وما فى الارض وله الحمد فى الأخرة وهو الحكيم الخبير . الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل . الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله رب العالمين . الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور . والشكر لله رب العالمين الذى مكننا فى الارض وجعل لنا السمع والابصار والافئدة .

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله . الرسول الخاتم الذى اختاره الله على علم على العالمين ليكون للانس كافة معلماً يعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا . ويكون لنا بشيراً ونذيرا . وجاءنا بالقرآن وفيه بينة مافى الصحف الاولى .

وقد سخر الله الكثير من الانس فى طول الزمان قاموا بحفظ القرآن وتبليغه الى من بعدهم . ليكون القرآن مجيباً للسائلين عن مصدر الانسان ومصيره . ونوراً مبيناً لآولى الالباب ليكونوا من المهتدين والمفلحين . وليكون القرآن الكريم كاشفاً ومبيناً لما هو غائب عن ادراك الانسان . وموضحاً لكيفية الفلاح فى هذه الحياة وما بعدها .

والقرآن الكريم علينا حجة يوم الحساب . فاذا ضل الانسان فى هذه الحياة فلن ينفعه أن يأتى يوم الحساب متحججاً بأنه لم يكن يعرف أو أنه أتبع أبائه وقد كانوا لايعلمون . أو أنه أتبع قوماً قد أضلوه إما لجهلهم أو لسوء نياتهم وأعمالهم .

وهذا القرآن الذى هو كلام الله رب العالمين خالق كل شىء وعالم السر والغيب . انما هو كلام دقيق . ونحن نحتاج الى البحث والاستقصاء من أجل فهم معانى كلمات القرآن وحروفه .

فلا يصح ان لا نقف عند كل حرف متسائلين عن الفائدة والمعنى . وانما علينا إمعان النظر والاستفهام حتى نصل لفائدة يريدها الله الخالق سبحانه وتعالى لنا . وربما أنعم الله علينا فعرفنا فائدة لم ينتبه اليها السابقون . وربما ادركها الاولون ثم تاه المعنى فى زحمة الاحداث والصراعات .

ونحن نعرف من الواقع الذى نعيشه بوجود بعض الخلافات وبعض العداء بين المؤمنين بدين الاسلام منذ زمن طويل . فربما أثرت هذه الصراعات على فهم المؤمنين للقرآن . وربما علينا أن لانثق كثيراً بكلام السابقين أو المعاصرين لنا عن القرآن . لأن هذه الثقة فى كلام الناس عن كلام الله . ستكون بمثابة حاجز ضخم وغشاء كثيف وقفل منيع يمنعنا عن التفكر واستدعاء المعرفة الواضحة من القرآن الكريم والتى بلغها الله سبحانه وتعالى لنا .

وما سأعرضه فى هذا الكتاب انما هو لفت للانتباه الى أمور غاية فى الاهمية . غفل عنها المؤمنون بالقرآن لزمن طويل . وبسبب هذه الغفلة نُسيت **الحكمة** من الدين . وفى أثناء تتابع وتسلسل مواضيع الكتاب سأقوم بإلقاء الضوء على هذه **الحكمة** أعتماداً على ما هو واضح وبين فى أيات القرآن الكريم .

وقد ترتبت على الغفلة عن هذه **الحكمة القرآنية** عدة نتائج منها :

- تسطيح الدين : فلم يعد للدين اهمية عملية تقود حياة الانسان ولكنه أصبح نشاطاً من ضمن أنشطة الحياة الاخرى .
- أصبح المسلمون فى حالة من التبعية الفكرية لكثير من المناهج المضادة للقرآن والمضادة للتوحيد .

- أصبح المجتمع الاسلامى يعيش فى حالة من التبعيةالمادية لاتباع هذه المناهج أو الفلسفات والاديان المختلفة .
- أصـبح للشـيطان سـلطان على معظم المسـلمين وعلى معظم العلاقـات بين الانس فى مجتمعات المسلمين .
- تراكمت حالة من الارتباك والضعف والنزاع الداخلى والتفكك الذى مايزال مستمراً .
- أصبح البعض منا ينظر الى الدين بأعتباره عقبة فى طريق التطور .
- أنتقل ميزان القوة المادية الى المجتمعات الـتى أقـامت أسسـها على أسـاس من إهمـال الدين وعدم الايمان بالغيب .

وهناك فارق كبير بين العرب المؤمنين وقت نزول الوحى على الرسول عليـه الصـلاة السـلام . وبين المسلمين فى زمننا هذا . إذ أنهم قد تلقوا الدين بطريقة مباشرة من الرسول وقت نزول الوحى عليه . وهم كانوا على ادراك كامل لحكمة الدين .

أما نحن ومن هم قبلنا بمئات السنين . فقد ورثنا ديناً قد اكتسى بصبغة الصراعات السياسـية والاقتصادية والطائفية المتعاقبة . وما يتبعها من استخدام ايات القرآن ونصـوص الاحـاديث لينتصر كل فريق لنفسه ضد الفرق الاخرى .

ومن خلال ما وصل الينا عن من ءامنوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام أثناء تلقيه للرسالة . نجد أنهم قد أكتسبوا قوة فكرية مستقلة وراسـخة مسـتمدة من العلم المـنزل على الرسـول . وكانت اثار هذه القوة الفكرية المكتسبة واضحة . بداية من ثبات القلة المؤمنة مـع الرسـول . وتزايدهم المستمر اثناء وجودهم فى مكة قبل الهجرة الى الحبشة وبعدها .

وهذا رغم تعرض المؤمنين لكثير من انواع الظلم والتمييز والحصار والتعذيب على ايدى أصحاب القرار فى مكة من الكفار والمشركين . ثم تضحيتهم بعد ذلك باموالهم وديارهم عند الهجرة الى المدينة .

فلم يكن التعذيب يمنع المؤمنين عن التمسك بالايمان بما جاء به الرسول . ولم تكن قسوة الكافرين عليهم تجعلهم يعودون لما كانوا عليه قبل الايمان . وهذا رغم عدم امتلاك المؤمنين فى البداية لقوة مادية يحتمون بها من بطش الكافرين والمكذبين لرسول الله عليه الصلاة والسلام . وجاءنا فى هذا اخبار كثيرة فى كتب السيرة والتاريخ . منها ما هو مشهور مثل ما جاءنا عن اسرة عمار بن ياسر وما حدث لبلال بن رباح . وغير هذا من أخبار هؤلاء المؤمنين . وتجلت أثار هذه القوة واضحة فى بداية حركة الحروب . بداية من غزوة بدر مروراً بما تلاها حتى فتح مكة وما بعدها . ولم تكن القوة المادية أو قوة الجيش الضخم فى البداية فى صالح المؤمنين . وانما هى كانت قوة المعرفة التى اكتسبها الانسان المؤمن فى الاساس .

وقد أوضح الله فى القرآن أن قوة **(المؤمن الصابر)** تزيد عن قوة شخصين على الاقل من الكافرين . لآن الكافرين قوم **(لا يفقهون) .** مايعنى أن من سمات كل مؤمن أنه يفقه علم لا يفقهه الكافر . وان هذا العلم الذى يفقهه المؤمن هو الذى يسبب الفارق الذى يجعل المؤمن أقوى من الكافر .

فقال سبحانه **(يا أَيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعكَ مِنَ الْمؤْمِنِينَ ۝{٦٤} يا أَيُّها النَّبِيُّ حرِّضِ الْمؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبوا مائَتَيْنِ ۚ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبوا أَلْفا مِنَ الَّذِينَ كَفرُوا بأَنَّهُمْ قوم لَا يَفْقَهونَ ۝{٦٥} الْآنَ خففَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فإنْ يكنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبوا مائَتَيْنِ ۚ وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝{٦٦} الانفال)**

والانسان هو اللبنة الاساسية لقوة الجيوش القتالية وقوة الانظمة العلمية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية . فاذا بنيت قوة هذا الانسان على اساس من العلم الذى أخبره به الخالق سبحانه وتعالى .

فانها ستكون قوة قائمة على اساس صحيح ومؤثر واضح من المعرفة .الأمر الذى سيجعل هذه الأنظمة والجيوش القتالية قوية وتؤدى دورها بكفاءة عالية .

والأمر الذى يجعل المؤمنين متماسكين ولا يوجد بينهم نزاع هو :

- أنهم مشتركون فى المصدر الذى يتلقون منه العلم الذى يتبعونه . الذى هو كلام الله سبحانه وتعالى .
- وأن تأثير هذا العلم متشابه على جميع المؤمنين بهذه الرسالة فاذا اجتمع جيش من المؤمنين كانوا متجانسين . وتألفت قلوبهم واستطاعوا ان يتغلبوا على اضعاف اعدادهم بسهولة .

وبعد أن نصر الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين معه . انتشر دين الاسلام بين عامة العرب وأصبح أصحاب القرار فى المجتمع العربى هم من المؤمنين بالله المتبعين لهديه العاملين بالعلم الذى تلقوه من الله . وظهر على أثر ذلك الثراء وتعاظمت قوتهم القتالية والمادية والتنظيمية . ودخلت مجتمعات العرب فى طور جديد من التطور لم تعرفه من قبل . وأصبح العرب قوة متماسكة غيرت موازين القوة فى العالم وانتصرت على الأمبراطوريات القائمة وقتهم .

وقد أستمر التطور فى النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بعد موت الرسول . وهذا يعنى ان سمتا القوة والتطور هما من سمات مُتبعى دين الاسلام . فلم يكن التطور حادثاً

لمجرد وجود الرسول بين الناس فقط . ونجد ذلك واضحاً فى تاريخ (خليفة رسول الله) أبو بكر الصديق ومن تبعه من (أمراء المؤمنين) .

وبعد موت امير المؤمنين عثمان بن عفان . وبعد تجدد الكثير من الخلافات وقيام بعض الطامعين فى الملك باستغلال الفرصة . أشتعلت الحروب بين العرب فتحولوا بعد ذلك لشيع أذاق بعضهم بأس بعض .

وأصبح التنافس على السلطة والحفاظ عليها هو محور التركيز فيما بعد هذه الاحداث . وكانت هذه نقطة تحول . فبدلاً من اتباع العلم الالهى الموجود فى القرآن . أصبح القرآن سلاح يستخدمه العرب ضد بعضهم البعض من أجل الفوز بالدنيا وسطوتها .

وعندما ننظر الى المؤمنين بدين الاسلام فى عصرنا هذا وعصور خلت من قبل . نجد عكس ما كان عليه المؤمنين وقت وجود الرسول ووقت وجود من تعلموا منه . فلم يعد المسلمين أصحاب قوة فكرية مستقلة . ولكنهم أصبحوا أتباعاً وامتلأت بلاد المسلمين بعشوائية الفكر . ولم يعد هناك رؤية واضحة عن ماهية العلم وماهية الجهل . ولم يعودوا أصحاب ثراء مستقل رغم امتلاء بلاد المسلمين بنعم الله . ولم يعودوا أصحاب قرار مستقل ومؤثر حتى فى داخل حدودهم .

فما هو هذا العلم الذى غير حال العرب فى البداية ؟

إجابة هذا السؤال تحتاج منا أن ننظر فى القرآن . ولن نفهم القرآن بطريقة سليمة . إلا اذا كنا ننظر فى الاتجاه الصحيح . وهذا الاتجاه يبدأ بتنحية الخلافات السياسية . وتنحية التاريخ والشخصيات التاريخية جانباً . وعلينا أن ننظر الى الانسان كمتلقى للرسالة بدون خلفية سياسية أو ثقافية متنازع عليها .

ونقطة البداية المنطقية هى ضرورية الدين للانسان .

ضرورة الدين للانسان

الجهـل والضـعف . هـذه هى السـمات المشـتركة بين جميـع النـاس عنـد الميلاد . حيث يـأتى الانسان الى هذا العالم بدون معرفة أو مقدرة .

كمـا قـال الله **(وَاللَّهُ أَخـرَجَكُمْ مِنْ بُطـونِ أُمَّهـاتكمْ لَا تعلَمـونَ شَـيْئًا وَجعـلَ لَكُمُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝{٧٨} النحل) .** وعندما يتقدم الانسان قليلاً فى السـن . تتفتح رغبتـه للمعرفـة عن هـذا العـالم الـذى يحيـط بـه . كمـا يريـد أن يعـرف عن نفسـه وعن علاقته بهذا العالم وبمن فيه .

لأنه يجد نفسه جاهلاً لمصدر نشأت الحياة . وجاهلاً لأى شىء عن نفسه . ويجد كذلك أنه لا يستطيع استخدام جسده بدون أن يساعده الكبار على تعلم ذلك . ويجد أنـه يحتـاج لتوجيـه ممن هم أكبر منه حتى يفهم كيف يتفاعل مع مايحيط به فى حياته هذه .

وربما كان أهله هؤلاء أهل سوء أو جاهلين . وربما كانوا أهل خـير . وفى جميـع الحـالات فهم يستغلون حاجته اليهم . ويوجهون هذا الانسان القادم حديثاً الى هذا العـالم لمـا يؤمنـون هم به . وعندما يتقـدم هـذا الانسـان فى السـن وتتطـور قدرتـه على التفكـر إذا تطـورت . و ان لم يُختم على قلبه بالانشغال بالدنيا بكل ذرة فى فكره . فهو لابد أن يتسائل : **من أين جات هذه الحياة ؟ ومـا هـو الغـرض منهـا ؟** والإجابـة على هـذه الأسـئلة هـو أمـر مهم للانسـان . لأنـه سيحدد على أساس هذه الاجابات الطريقة التى سيدير بها حياته حتى لحظة موته .

والموت هو أكثر الاشياء التى تحفز الانسان على هذه الاسـئلة . لأنـه يـرى أن جميـع الكائنـات يحدث لها الموت . ويعـرف أنـه سـيموت وبطبيعـة الحـال سـيجد أسـئلة جديـدة . مثـل : هـل للحياة طبيعة اخرى غير هذه الطبيعة المادية التى ندركها ؟

أم اننا نموت وننتهى واننا مجرد هذه الاجساد الفانية ؟ هل لأفعالنا هنا عواقب بعد الموت أم لا ؟ وهل هناك كائنات غائبة عن ادراك حواسنا أم لا يوجد؟ واسئلة أخرى مشابهة .

واذا تُرك الانسان حراً ليبحث ويسأل ولم تمنعه وتغلق ملكات عقله القيود العصبية القبلية التى تفرضها وتقويها معظم الانظمة السياسية والاجتماعية .

سيجد عندما يبدأ بالسؤال اجابات كثيرة . فهناك عشرات المعتقدات والمناهج فى كافة انحاء عالم الانسان . وهناك الكثير من التناقض بين معظم الإجابات فى هذه المعتقدات . وهناك الكثير من الخرافات والأساطير . ويوجد أتباع لمعظم هذه المعتقدات حتى لو كانت مليئة بالخرافات الظاهرة الضلال .

وذلك راجع الى أن الانسان بدلاً من أن يرى فى الدين وسيلة للمعرفة . أصبح يتعامل مع الدين كعصبية عائلية سياسية . فاذا كان يتعامل مع انسان أخر متبع لنفس الدين الذى يتبعه هو فكأنه يتعامل مع فرد من عائلته أو قبيلته . واذا كان يتعامل مع انسان متبع لدين أخر فكأنه يتعامل مع فرد من عائلة أخرى . ما يقودنا الآن الى أن جميع الناس تقريباً ينظرون الى الدين على أنه **إنتماء قبلى .** مثل الانتماء لصلة الدم أو القبيلة أو العائلة .

فاذا تم التعامل مع هذا الانسان الصغير بدون توجيه مقيد له . وأهتم القائمون على **(عملية تعليمه)** بتنمية قدرته على التفكير . ولم يغذوه الا بالمعلومات الثابتة الصحة والتى يجد لها معنى فيما يتعرض له فى الحياة بحسب عمره . فإنه عندما يفكر سيستند على حقائق واضحة وسيستدل بها . وسيعرف كذلك أنه سيخرج من هذا العالم وحده ولن ينفعه أحد من الناس بعد الموت . فلن يتبع الخرافات والضلالات الكثيرة التى تملأ عالم الانسان . وسيبحث عن الاطمئنان بخصوص ما يؤمن به فى هذه الحياة التى يحيط بها الغيب من كل مكان .

ولكى يطمئن الانسان لدين من الاديان لابد أن يكون عارفاً بالعقل والمنطق والتجربة صحة هذا الدين . وعنده أدلة تمس حياته ولا تقبل الشك على صحة ما يـؤمن بـه . وبطبيعـة الحـال فان الرسالة التى ستأتينا من الخالق سبحانه وتعالى لجميـع النـاس . سـيكون فيهـا أدلـة على صحتها تطمئن لها جميع القلوب ولا تشك فيها .

ولكـل منهج من المنـاهج المنتشـرة فى عـالم الانسـان اهـداف واجابـات وتوجهـات مختلفـة . وسـيتم عـرض بعض ضـلالات الكـافرين والمشـركين المنتشـرة فى مجتمعـات المسـلمين فى سياق توالى الموضوعات .

فما هو الهدف من تنزيل الله للقرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام؟

حدد الله الوظيفة الرئيسية للقرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى

(الر ۚ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بـإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِـرَاطِ الْعَزِيـزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ آبراهيم)

فما هو الخروج من الظلمات الى النور؟

الخروج من الظلمات الى النور

ولكى يتضح معنى هذا المصطلح **(الخروج من الظلمات الى النور)** أضرب لذلك مثلاً :

عندما يكون الانسان فى مكان مظلم فهو يجهل محتويات هذا المكان ولا يدرى **هل هـو خـير له ام هو شر ؟** ولايعرف **مـا الـذى سيحدث لـو تصرف بهـذه الطريقـة أو تلـك؟** و لايعـرف **ماالذى من الممكن أن يتعرض له؟** وربما تعثر ولم يعرف لماذا حدث له ما حدث .

وعنـدما يضـيء مصـباحاً فهـو يـرى الاثـاث والكائنـات الموجـودة فى هـذا المكـان بطريقـة واضحة . فهو بهذا خرج من الظلمات الى النور . لآنه الأن أصبح **قـادراً على أن يـرى ماحولـه بوضوح** . وأصبح قادراً على التعامل بطريقة سليمة مع الاحداث الـتى قـد يتعـرض لهـا . وأن يستفيد من جميع الامكانات المتاحة له . وأن يتجنب الاضرار التى قد يتعرض لها .

وعندما يخرج الانسان من الظلمات الى النور فانه يرى بوضوح مالم يكن يره من قبل .

فقول الله سبحانه وتعالى **(الر ۚ كتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيكَ لِتخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ آبراهيم)** هو وصف لفائدة هذا الكتـاب الـذى أنزلـه الله سبحانه وتعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام .

لأن القرآن يحتوى على العلم والنـور الـذى عن طريقـة **سيخرج الانسـان من الظلمـات** حيث **(جاء الى هذه الحياة لايعرف من اين ولا الى أين ولا يعـرف كيـف يتعامـل فيهـا بطريقـة صحيحة وربما تعرض فيها للتضليل من بعض الناس) .**

وسيخرج الى النور حيث ستكون الحياة واضـحة بالنسـبة لـه . وسـيكون مـدركاً لاسـباب مـا يتعرض له فيها من الخير أو الشـر . وسـيعرف كيـف يتصـرف فيهـا بطريقـة نافعـة وسـليمة . وسيكون مطمئناً . ولن يستطيع احد خداعه أو تضليله .

وسيجعل الله للانسان نوراً ذاتياً يحيا به اثناء وجوده فى هذه الحياة . كما جاء فى قول الله سبحانه وتعالى **(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا اتقوا اللَّهَ وَآمنوا بِرَسُولِهِ يؤْتِكُمْ كِفْلين مِنْ رَحْمَتهِ وَيجْعلْ لَكُمْ نورًا تمْشُونَ بهِ وَيغفرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ الحديد)** . وعندما يكتسب الانسان هذا النور الذاتى من خلال ايمانه وتفهمه لرسالة الخالق اليه واتباعه للهدى الذى جاءه فيها . فلن يكون هذا الانسان فى حاجة الى إتباع غيره من البشر . سواء من هم أحياء وقت وجوده على الارض أو من قد ماتوا . ولن يتبع الضالين . وسيكون هذا الانسان من المطمئنين . لانه يعرف معرفة يقينية أنه على الحق . وليس لأن أحداً أخر يقول له انه على الحق أو يوجهه أثناء حياته .

وقال الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم فى بداية سورة البقرة **(الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكتابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هدًى لِلْمتقينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنونَ بالْغَيْبِ وَيقيمونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقناهُمْ يُنْفِقونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قبْلكَ وَبالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولئكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ ﴿٥﴾ البقرة)** .

الله سبحانه وتعالى يقول ان فى هذا الكتاب هدى **(للمتقين)** الذين يؤمنون بالغيب ويعملون بتوجيهات الله المذكورة فى هذه الايات . ويقول عن هؤلاء المتقين **(اولئك على هدى من ربهم)** وتعنى بأن الله معهم يوجههم ويعلمهم فهم طائعين طيعين . وهم يعرفون ويدركون كيف يوجههم الله بما هداهم . فيتبعون هديه فى كل تصرف لهم فى هذه الحياة .

و**(اولئك هم المفلحون)** تعنى أنهم ناجحون وفائزون نتيجة ادراكهم لتوجيهات الله لهم .

وما يعنى أيضاً أن من لايتبع هذا الهدى سيكون من الضالين الذين يتحركون بعشوائية على غير هدى ولن يكونوا من المفلحين .

إذاً الانسان يأتى الى هذا العالم جاهلاً بكل شىء . ويحيط به الكثير من الغيب . مايعنى أن الانسان يكون فى الظلمات . وهذه الرسالة تقول . ان الخالق سبحانه وتعالى يبين للانسان فيها ما خفى عن ادراكه ويخرجه من الظلمات الى النور .

فان ءامن الانسان بهذه الرسالة وعمل بما فيها من العلم . سيخرج من الظلمات الى النور . وعندما تتبين له هذه الاشياء التى لا يستطيع أن يدركها بدون أن يبينها له عالم السر والغيب سبحانه وتعالى . وعندما يتبع الهدى الموجود فى هذا الكتاب. سيكتسب هذا الانسان نوراً ذاتياً . وسيكون من المهتدين والمطمئنين والمفلحين .

فان لم يؤمن الانسان بما فى هذا الكتاب ولم يتبع مافيه من العلم والهدى . سيتحرك بضلال وتخبط وعشوائية ولن يخرج من هذه الظلمات . وستؤثر عليه هذه الامور التى هى خافية عن إدراك حواسه الظاهرة . ولن يدرك تأثيرها عليه . وسيعيش حياته فى جهل وضلال . وسيصيبه من الشر فى حياته على قدر ما يرتكب فيها من الشرور والأثام نتيجة جهله أو تكبره وعناده . وسيكون فى الاخرة من الخاسرين .

ما يعنى أن هناك تغير جوهرى يحدث فى طريقة الحياة لمن يتبع القرآن الكريم . وأن هذا التغير يكون نتيجة ما أكتسبه الانسان من علم . هذا العلم الذى سيضبط حركة الانسان فى الحياة بطريقة مفهومة وواضحة ومنظمة .

ولكى تكون بقية الامور التى سأتحدث عنها واضحة . أبدأ بتوضيح مفهوم **الايمان** .

الإيمان

كنت استمع لبعض الناس يوماً وجاءوا على ذكر تعريف الايمان . وجاء بعضهم لتعريف الإيمان على أنه : **(الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر) .**

وهذ ليس تعريفاً للايمان . ولكن هذا **الرد التلقائى المحفوظ** هو اجابة لسؤال **بماذا يؤمن المسلم؟** . وهذا اللبس ناتج عن أختلاف لفظى بين روايتى الحديث الذى جاء فى **صحيح مسلم** . بين لفظ الرواية عن عمر بن الخطاب . وكانت (أخبرنى عن الايمان) . واللفظ الاخر برواية عن ابى هريرة وكانت (ما الايمان؟) . فلفظ الرواية عن عمر بن الخطاب كانت **أصح** من اللفظ الذى جاء عن ابى هريرة . لأن اجابة السؤال داخل نص الحديث **لم تكن تعريفاً** لمعنى الايمان . وانما كانت تحديداً للامور التى على المسلم ان يؤمن بها .

فما هو تعريف فعل الايمان؟ الإيمان هو : التصديق بصحة خبر عن (أمر ما) لا نستطيع معرفته أو ادراكه بالحواس الظاهرة بطريقة مباشرة .

أى أنه فعل فكرى يقوم به الانسان . بعد أن يعرف **ويدرك جهله** لأمر من الامور التى يؤثر الجهل بها أو معرفتها على حركته فى الحياة . ويعرف أنه لا توجد عنده القدرة على الوصول الى المعرفة المؤكدة بخصوص هذا الأمر ويكون عليه التصديق بخبر عن هذا الأمر .

مايعنى أنه لايصح منا أن نؤمن أو نصدق بخبر إذا كانت عندنا القدرة للتثبت والتأكد من حقيقته . **ويوجد فرق هام بين المعرفة و الايمان**

فالمعرفة تنقض الإيمان : لانه اذا وجدت المعرفة فلا يوجد داعى للإيمان .

فالانسان إما أن يؤمن أو أن يعرف .

فالعلم هو مايعرفه الانسان بطريقة مؤكدة وهو ما دخل فى ادراك الانسان .

أما الايمان فهو تصديق بصحة شيء لم يدخل فى ادراك الانسان .

ومثالاً توضيحياً لهذا : "عندما يقول مذيع الاخبار أن هناك حدث وقع فى مكان ما وكان المتسبب فيه شخص معين"

هناك حالتين للتعامل مع هذا الخبر :

- عندما يكون المتلقى الذى استمع الى مذيع الاخبار من اهل هذا المكان الذى ذكره المذيع . فهو إما أن يكون حاضراً فى المكان بطريقة عينية فهو (يعرف) بصحة او زيف هذا الخبر بطريقة لاتقبل الشك . وإن لم يكن حاضر وقت الحدث . فهو يستطيع ان يسأل الحاضرين القريبين منه . و(يعرف) بطريقة مؤكدة ما اذا كان مذيع الاخبار هذا يقول خبراً صحيحاً . أو أنه يقول خبراً مزيفاً . **وهذه هى الحالة الاولى وهى حالة المعرفة أو العلم .**

- أما اذا كان الانسان الذى يستمع الى الاخبار من مكان بعيد عن المكان الذى أخبر عنه مذيع الاخبار هذا . ولايعرف أحداً فيه . ولايستطيع ان يصل الى المعرفة المؤكدة بصحة او زيف هذا الخبر . فهو إما أن يصدق المذيع فهو بهذا **يؤمن** بوقوع هذا الحدث لآن حقيقة وقوع هذا الحدث لم تدخل فى ادراكه . أو أن يُكذب المذيع ولا يصدقه ولا يؤمن بوقوع هذا الحدث . **وهذه هى الحالة الثانية وهى تعبر عن فعل الإيمان أو التكذيب فى هذا المثال .**

ومعنى هذا ان جميع بنى الانسان مؤمنين بشيء ما بخصوص الحياة . **لسبب واضح** وهو أنه لم يرى أحد من الناس كيف بدأت الحياة . ولم يدخل هذا الحدث فى ادراك أى انسان يأتى الى هذه الحياة .

حتى الذين لا يؤمنون بوجود خالق و إله . فهم مؤمنون بما يقولون به أو بما يظنونه . لانهم لم يشاهدوا عملية خلق السماوات والارض ولم تدخل فى ادراكهم .

وهم عندما يضعون الافتراضات والنظريات والظنـون . ثم يقولـون انهم وجـدوا ادلـة عليهـا . فربما هم يكذبون . وربما فسروا بعض المظاهر بطريقة تخدم توجهاتهم . وكان من الممكن أن تُفسر هذه المظاهر بطريقة أخرى . وهناك من يصدق بكلامهم وهناك من يكذبهم .

وهم لايستطيعون أن يثبتوا كلامهم وإدعاءاتهم ونظرياتهم وظنونهم لجميع الناس .

وعلى كل حال فمن يصدقهم فهو مؤمن بما يقولون به . أى أنه ليس عارفاً أو عالماً .

لأنه يقول كلاماً سمعه من الاخرين ثم إطمئن له أو انبهر به ثم ردده بلسانه .

الإيمان في الاسلام

مـاذا يعـنى الايمـان برسـالة الاسـلام ؟ يعـنى أننـا نصـدق أولاً بنبـوة الرسـول عليـه الصـلاة والسلام وبتلقيه للرسالة .

وعندما يأتينا انسان ويقول انه رسول من عند الله فهو يعـرض رسـالته على النـاس . وعنـدما ينظر الناس فيما جاء به فهم فى الغالب على أحد رأيين :

- إما أن يجد الانسان فى الكلام الذى جاء به هذا الرسـول أدلـة واضـحة ومطمئنـة على صحة ما جاء به فيؤمن به ويصدقه ويعمل بمقتضى ما جاء فى رسالته تلك .
- أو لا يجد الانسان دليلاً عنده على صحة ما جاءنا به فلا يؤمن به ولا يصدقه .

ولكى نصدق بهذه الرسالة ونطمئن لصحة كوننا متبعين للحق . لابد من وجود أيات وعلامـات واضحة تبين لنـا صـحة هـذه الرسـالة . حـتى نطمئن لمـا فيهـا ونـؤمن بـه ونعمـل فى حياتنـا بمقتضى هذا الايمان . متبعين للهدى الذى جاء فيها بعد أن أصبحنا نؤمن بأنها جاءتنا من عند الخالق سبحانه وتعالى .

وفى رسالة الاسلام نحن نؤمن بأن القرآن هو كلام الله الـذى نـزل بـه الـروح الامين على قلب الرسول محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وأخبرنـا الخـالق سـبحانه وتعـالى فى هـذا القرآن بالكثير من البراهين على صحة هذه الرسالة . ومن بين هذه الـبراهين ان هـذه الرسـالة هى **النور المبين** الذى سيكشف لنا **ما يغيب عن ادراكنا** .

فقال الله سبحانه وتعالى **(يا أَيُّها النَّاسُ قدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نورًا مُبِينا ﴿١٧٤﴾ النساء) .**

ونجد أن الله قال **(سَنُرِيهِمْ آيَاتنا في الْآفاقِ وَفي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يتبَيّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحقُّ أَوَلَمْ يكفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ فصلت)** . الله سبحانه وتعالى قال بطريقة واضحة أنه **(سيرينا اياته فى أنفسنا)** . ومن بين هذه الايات أن الله سبحانه وتعالى بين لنا تكوين نفس الانسان . وماتحتويه من مكونات متصلة بعالم الغيب الذى لا ندركه بحواسنا الظاهرة مثل الصدر والقلب والفؤاد والروح . ومن هذه الايات التى فى انفسنا أيضاً أن الله قد أعطى للانسان تحذيراً واضحاً من الشيطان وعلمنا كيف نتجنب شره وحقده .

فنحن لم نكن لنرى الشيطان ولم نكن لنعرف بوجوده لو لم يخبرنا الرسول (هذا الانسان) الذى تلقى الرسالة من الله الخالق سبحانه وتعالى بوجود مثل هذا المخلوق . فنحن نؤمن بوجود الشيطان . ونحن ندرك وسوسته التى لو لم يخبرنا الرسول بمصدرها لكنا فى حيرة من امرها ولفسرها كل انسان بطريقته كما يفعل الكافرون والمشركون .

ومن هذا يتضح لنا أن الله يطلعنا على ماهو غائب عن إدراك حواسنا الظاهرة .

لنفهم ما نتعرض له وما يحيط بنا فى هذه الحياة .

ونحن كمسلمين نؤمن أولاً بالغيب (أى أن هناك اشياء غائبة عن ادراك حواسنا الظاهرة . ولا نستطيع ادراك هذه الاشياء بالعين أو الاذن أو بغير ذلك من حواس الجسد) . ونؤمن بهذا الغيب الذى أخبرنا الله به فى القرآن الذى هو كلام الله سبحانه وتعالى .ونعرف أن من يدعى معرفة شىء ما من الغيب . وهذا الشىء ليس مذكوراً فى القرآن فهذا كذب على الله .

لآننا نعرف أن الله هو وحده الذى يعلم الغيب . **وليس لنا مصدر أخر لنعرف عن الغيب**
الا من خلال آيات القرآن الكـريم . **(قـلْ لَا يَعْلم مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَما يشعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ {٦٥} ۝ النمل) .**
وكذلك ماثبت ثبوتاً لا شك فيه عن الرسول عليه الصلاة والسلام لانه لا ينطق عن الهوى .

وهناك أنواع متعددة من الغيب منها : **غيب** يحيط بنا أثناء وجودنا فى هذه الحياة .
وغيب حدث وأنتهى ولم نشاهده ولم نطلع عليه فهى أحداث لم تدخل فى إدراكنا .
وغيب لم يحدث بعد .
وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن كل انواع الغيب فى القرآن .
فأخبرنا عن بعض الغيب الذى سيحدث فى المستقبل مثل يوم القيامة .
وأخبرنا عن ما يحيط بنا من الغيب فى هذه الحياة .
وأخبرنا كذلك عن بعض الاحداث التى حدثت فى الماضى .
وعندما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن بعض الاحـداث الـتى حـدثت فى الماضـى ولم تـدخل فى ادراكنا . فهـو سـبحانه وتعـالى أخبرنـا بهـا لوجـود فائـدة لنـا من معرفتهـا . فأخبرنـا فيهـا بالكثير من الفوائد التى تساعدنا على أن نحيا عارفين بأساس ما يؤثر علينا فى هذه الحياة .

ومن هذا الاحداث التى أخبرنا الله سبحانه وتعالى بها ولم نكن لنعرف عنها شيئاً لو لم يخبرنا سبحانه وتعالى عنها . كانت أحـداث بـدء تمكين الانسـان فى الارض وجعلـه مسـيطراً عليهـا . وهى بما فيها مسخرة لـه خاضـعة لتصـرفه . وفيهـا أخبرنـا الخـالق سـبحانه وتعـالى بطبيعـة العلاقة بين الشيطان وبين الانسان .

التمكين فى الأرض

فى وقتنا هذا يظن الانسان انه مسيطر على الارض نظراً لانه اكثر الكائنات تطوراً بسبب تطور عضو المخ لديه عن باقى المخلوقات الحية المتحركة . وفى الحقيقةان التمكين فى الارض هو نتيجة ان الله اختار الانسان ليكون ممكناً فيها ومسيطراً عليها . فلم يكن الانسان ممكناً فى الارض فى البداية كما هو حاله الأن .

ونتعرف على هذه الحقيقة من خلال أيات القرآن الكريم . حيث **أخبرنا الله بدء تمكين الانسان فى الارض** فى بدايات سورة البقرة فقال **(هوَ الَّذِي خلَقَ لَكُمْ مافي الْأَرْضِ جَمِيعا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فسوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهوَ بكلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞﴿٢٩﴾ وَإِذْ قالَ رَبكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفةً قالُوا أَتَجعلُ فيها مَنْ يفسِدُ فِيها ويسفِكُ الدِّماءَ وَنحْنُ نُسَبِّحُ بِحمدِكَ وَنقدِّسُ لَكَ ۖ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لَا تعْلَمونَ ۞﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُوني بِأَسْمَاءِ هؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞﴿٣١﴾ قالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتنا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الحكيمُ ۞﴿٣٢﴾ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قالَ أَلَم أَقلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تبدونَ وَما كُنْتُمْ تكْتُمونَ ۞﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنا لِلمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فسجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرين ۞﴿٣٤﴾ وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْها رَغدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فتكُونا مِنَ الظَّالِمِين ۞﴿٣٥﴾ فأَزَلَّهُما الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كَانا فِيهِ ۖ وَقلْنا اهْبِطوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ في الْأَرْضِ مُستقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۞﴿٣٦﴾ البقرة) . يتضح لنا من هذه الايات** أن الملائكة كانت على دراية عن فعل سابق للانسان . وهذا معناه أن الانسان كان له وجود على الارض ولكنه لم يكن ممكناً فيها .

وكما نلاحظ فان الملائكة يقارنون بين مايفعلونه هم . فهم يعظمون الله ويقدسونه . الأمر الذى يجعلهم يقومون بمهامهم بالطاعة والاحسان . وبين فعل الانسان من الافساد وسفك الدماء . **فلماذا هذه المقارنة؟**

إن مقارنة الملائكة لفعلهم الجيد مع الفعل السىء الذى يرونه للانسان . انما هو لأن الله يخبرهم بانه سبحانه يجعل الانسان **خليفة لهم أى أنه يستبدلهم** . ما يعنى أن لفظ الاستخلاف فى الاية الكريمة (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) هو بمعنى الاستبدال .

مثل قول الله سبحانه وتعالى (**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ الانعام**) .

من هذا يتضح لنا أن الملائكة والجن (لأن أبليس كان معهم وهو من الجن) كانت لهم السلطة والتمكين فى الارض . وكانوا يؤثرون تأثيراً مباشراً فى ظروف الحياة على الارض . كما هو حال الانسان فى واقعنا الأن .

وكانت أرادة الله أن يستبدلهم بالانسان هذا المخلوق الذى خلقه الله من مادة هذه الارض . وأعطاه ميزة لم يعطيها للملائكة أو للجن أو لباقى المخلوقات . وهى أنه علمه علماً لم يُعلمه لأى مخلوق أخر . فقبلت الملائكة باستبدال الله لهم بالانس . ولم يقبل ابليس فقد استكبر وكان من الكافرين .

ثم أعطى الله سبحانه وتعالى لآدم وزوجته عليهما السلام تجربة تعليمية عملية . بأن أدخلهما جنة كل شجرها صالح للأكل إلا شجرة واحدة . وتركهما أحراراً يستطيعان أن يأكلا منها أذا شاءا ذلك . ولكنه سبحانه وتعالى أعطاهما المعرفة بانهما اذا أكلا منها سيكونان من الظالمين . وفعل الظلم هو مخالفة الفعل الصالح أو مخالفة الحق .

وفى الايات السابقة توضيح لفعل الشيطان الذى أضل به آدم وزوجته عليهما السلام وهو **فعل الاستذلال** . فهو أوهم آدم عليه السلام أنه سيكون أقل شأنا لو لم يأكل من الشجرة . وسيكون أعظم شأناً لو خالف أمر الله .

وقد ذكر الله لنا جزء من قصة تمكين الانسان فى الارض فى سورة الاعراف فى قوله سبحانه (وَلقَد مكناكُمْ فِي الْأَرْضِ وجَعلنا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗقَليلا ما تشكرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قلنا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قالَ ما مَنَعكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتكَ ۖقالَ أَنا خيرٌ مِنهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قال فاهبط مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتكبَّرَ فِيها فاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قالَ أَنْظرني إِلَىٰ يوْمِ يبْعَثونَ ﴿١٤﴾ قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظرِينَ ﴿١٥﴾ قالَ فبِما أَغْوَيْتني لَأَقْعدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيدِيهمْ وَمِنْ خلفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۖوَلَا تجدُ أَكْثرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قالَ اخرُجْ مِنْها مذْءُوما مَدْحُورًا ۖلَمَنْ تبعَكَ مِنْهُمْ لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ الاعراف) .

فى هذه الايات يذكر الله سبحانه وتعالى الحديث الذى كان من الشيطان بعد رفضه لطاعة الله بالسجود لآدم . نظر الشيطان لنفسه ككائن أفضل بسبب أن الله خلقه من مادة مختلفة . وأعماه الغضب والكبر . لانه يرى أنه أحق بالتمكين فى الارض ويحتقر الانسان لأن الله خلقه من مادة الارض . فرفض أن يطيع الله بخضوعه للانسان وترك السلطة أو التمكين لبنى آدم . وأعلن عداوته وعزمه على المكر بالانسان . وأعلن عزمه على منع الانسان من السير فى طريق الله المستقيم .

ثم بين الشيطان فى حديثه الى الله سبحانه وتعالى . كيف أنه سيأتى للانسان من كل مكان ممكن . ليشغله بالشر عن نعم الله عليه . فتكون النتيجة بأن الانسان لن يشكر الله .

لأنه لن ينتبه للنعم الكثيرة التى سخرها الله له . ولكنه بسبب وسوسة الشيطان أصبح يحمل الكثير من العبء والهم والحزن والخوف .

وعندما تكبر الشيطان ورفض الطاعة طرده الله طـرداً من الارض . فلم تعـد للجن كمـا لم تعـد للملائكة القدرة على التأثير فى الارض . كما يدعى السحرة والمحتـالين والجـاهلين . والا لملأ أهل المعصية من الجن الارض بالافعال التى لايعرف الانسان كيف حدثت . وهـذا لم يحـدث . فكل شر يحدث فى الارض يحدث عن طريق الانسان الذى استحوذ عليه الشيطان .

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى بالتفصيل تجربة تعليم آدم وذريته كيف يؤثر الشـيطان عليـه وكيف يتلاعب به ليورده سبل الشر والهلاك التى حذر الله الانسـان منهـا . وكيـف يتسـبب لـه بالضلال والشقاء . وكيف يؤثر عليه ويجعله يتصرف بطريقة خاطئة .

فقـال سـبحانه (**ويـا آدَمُ اسـكنْ أنْتَ وَزَوجـك الْجنـةَ فكلا مِنْ حَيْثُ شـئْتما وَلَا تقْرَبـا هـذِهِ الشَّجَرَةَ فتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقالَ ما نَهَاكُما ربكما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تكونـا مَلكَيْنِ أَوْ تكونـا مِنَ الْخَالـدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فدَلَّاهُمَا بِغرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقا الشَّجَرَةَ بدَتْ لَهُما سَـوْآتُهُمَا وَطَفِقـا يَخصِـفَانِ عَلَيْهِمـا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّة وَنادَاهُمـا رَبّهمـا أَلَمْ أَنْهَكُمـا عَنْ تلكمـا الشَّجَرَةِ وَأَقلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكما عدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قالَا رَبَّنا ظَلَمنـا أَنْفسـنَا وَإِنْ لَمْ تغفـرْ لَنا وَتَرْحمْنا لَنكُوننَّ مِنَ الْخاسِرين ﴿٢٣﴾ قالَ اهْبِطوا بَعْضكُمْ لِبَعضٍ عدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلَىٰ حين ﴿٢٤﴾ قالَ فِيها تحيَوْنَ وَفِيهَا تموتونَ وَمِنْها تخرجُونَ ﴿٢٥﴾**)

قام الشيطان بالحديث الى آدم وزوجته عليهما السلام وكذب عليهمـا مـدعياً انهمـا سـيكونان من الخالدين اذا اكلا من الشجرة . فصدقاه وأكلا منها معاً .

وكان الله قد نهاهما عن الاكل من الشجرة وعرفهما أنهما سيكونان من الظالمين اذا أكلا منها . فكان فعلهما موافقاً لكلام الشيطان .

ومن هذه الايات أيضاً فقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى بأن الشيطان يعمل على أغواء الانسان عن طريق (الوسوسة) . وأنه كان يريد أن يسبب الضرر لأدم وزوجته كما يريد أن يسبب الضرر لجميع بنى آدم .

ووصف الله عمل الشيطان فقال (**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**) أى أنه استدرجهما وخدعهما . ولذلك يحذرنا الله من اتباع **(خطوات الشيطان)** كما قال سبحانه **(يا أيُّها النَّاسُ كُلُوا مما في الْأَرْضِ حلَالًا طَيِّبا وَلَا تتبِعوا خطوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عدُوٌّ مبِينٌ ﴿١٦٨﴾ البقرة)** لأن الشيطان يتدرج بالانسان من الوسوسة عن شىء لامعنى له ثم يوجهه الى فعل الشر .

وبعد أكلهما من الشجرة بدت لهما سوآتهما . وهذا يعنى أن ثمر هذه الشجرة قد سبب لهما شيئاً ضاراً لم يكن يحدث لهما من قبل . وهو عملية الاخراج على الارجح كما أرى . فباقى أكل هذه الجنة التى كانا فيها . كان أكلاً طيباً لايسبب حاجة الانسان الى إخراج الفضلات . وأكلهما من هذه الشجرة تسبب لهما فى هذا الفعل الذى يستاء الانسان منه ويحتاج ليخلع ثيابه أثناء القيام به . وربما شىء أخر سبب لهما الاحساس بالسوء . والله أعلم .

وهذه اشارة الى ان الله ينهى الانسان عن إتيان مايسبب له الأذى . ويأمره بماينفعه فى حياته على الدوام .

وعندما انتهت هذه التجربة . نجد بأن الله سبحانه وتعالى يؤكد على أنه حذر آدم وزوجته عليهما السلام من عداوة الشيطان لهما . ما يلفتنا الى أنهما لم يأخذا تحذير الله لهما باهتمام مناسب فوقعا فيما حذرهما الله منه .

ثم حذر الله سبحانه وتعالى بنى أدم من أن يفتنهم الشيطان كما فعل مع أبويهم من قبل . وفى هذا اشارة لنا لكى لا نكرر نفس الخطأ الذى وقعا فيه . وأن نأخذ نحن هذا التحذير باهتمام ونضعه قيد التنفيذ .

فقال سبحانه **(يَا بني آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يوَارِي سَوْآتكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِباسُ التَّقوَىٰ ذَٰلكَ خيرٌ ۚ ذَٰلكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَما أخرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ينزِعُ عَنْهُما لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهما سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يرَاكم هوَ وَقَبيلُهُ منْ حيثُ لَا ترَوْنَهمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ الاعراف)**

آدم وزوجته عليهما السلام لم يشاهدا أبليس أثناء حديثه اليهما . فهما لم يتحدثا اليه . وانما استمعا فقط لوسوسته . وفى هذا تعريف للانسان بأن الشيطان يتحدث الينا بدون أن نراه أو نشعر بوجوده **(إِنَّهُ يرَاكُمْ هوَ وَقَبيلُهُ مِنْ حيْثُ لَا ترَوْنَهُمْ)** ولكننا نسمع وسوسته بحاسة أخرى غير الحواس الظاهرة فى تكوين الانسان كما سيتضح ذلك فى الموضوع التالى .

وفى موضع أخر من القرآن أخبرنا الله سبحانه وتعالى بعضٌ من توعد الشيطان للانسان بعدما أمره الله مع الملائكة بالسجود لآدم . **(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَما جَعَلْنا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونةَ فِي الْقرْآنِ ۚ وَنُخوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلَائكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا ﴿٦١﴾ قالَ أَرَأَيتك هذا الَّذِي كرَّمت عَلَيَّ لَئِنْ أَخرْتنِ إِلَىٰ يوْمِ الْقيامةِ لَأَحْتَنكنّ ذُرِّيَّته إِلَّا قليلا ﴿٦٢﴾ قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعكَ مِنْهُمْ فإِنَّ جَهَنّمَ جزَاؤُكُم جزَاءً مَوْفورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلكَ وَرَجلكَ وَشَارِكْهُمْ في الْأَموَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعدْهُمْ ۚ وَما يَعدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ الاسراء) .**

هذا يعنى أن التمكين فى الارض هو تكريم من الله للانسان على سائر المخلوقات . وكما هو واضح فقد رأى الشيطان فى تكريم الانسان إهانة له . ولهذا فقد وجه غضبه تجاه الانسان .

وهذا يعنى أن الشيطان أصبح يرى فى الانسان هدفاً يصب عليه حقده وشره .

وهو يريد للانسان أن يعيش فى ضلال وجهل . حتى يثبت أن الانسـان ليس أفضـل منـه وأن مصيره ليس مختلفاً عنه .

وقد تركه الله فتنة للناس وليبتلى الله سبحانه وتعالى ايمـان النـاس بـالاخرة وبحسـاب يـوم القيامة . **(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢٠} وَما كـانَ لَـهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَـكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُـلِّ شَـيْءٍ حَفِيظٌ {٢١} سبأ)**

و قبل أن نعرف كيف يؤثر الشيطان على الانسان . علينا أولاً أن نعرف تكوين نفس الانسان .

تكوين نفس الإنسان

إن أهم العلوم هو علم الانسان عن نفسه . فاذا تشوه علم الانسان عن نفسه تشـوهت معرفتـة بباقى العلوم . والمعلومات الواردة فى هذا الموضوع مختلفة عن المعلومات المنتشـرة بيننـا . والتى هى مستمدة من مناهج وافتراضات وظنون من لايؤمنون بـالغيب . **وأمـا القـرآن فهـو للمؤمنين بالغيب . وهو المصدر الوحيد لكل كلمة فى هذا الموضوع .** والذى فيه عـرض لمـا بينه الله فى القرآن عن نفس الانسان ومكوناتها .

حيث توجد عناصر تكوين نفس الانسان فى مستويين من الوجود .

- عناصر تكوين نفس الانسان المتصلة بمستوى الوجود الظاهر أو (بعالم الظاهر) .
- عناصر تكوين نفس الانسان المتصلة بمستوى الوجود الغيبى أو (بعالم الغيب) .

وتشبيهاً لذلك فى عالم الظاهر فهو مثل أن يكون الضوء مسلطاً على جـزء من جسـد الانسـان فهو **ظاهر للأخرين** . ويكون الجزء الباقى فى الظلام أو فى موضع معتم . فكأنه غير موجـود لأنه **غائب عن ملاحظة الأخرين** .

عناصر تكوين نفس الانسان المتصلة بعالم الظاهر :

هى **الجسد وحواسه الظاهرة .** الجسد هو العنصر الذى يستخدمه الانسان للتأثير فى العالم الظاهر . وله ادوات ظاهرة لها حواس يستخدمها لادراك ما يحدث فى عالم الظاهر .

مثل (**الرؤية عن طريق العين والاستماع عن طريق الاذن**) وغيرهـا من الحـواس وأجهـزة الجسم التى تقوم بوظائف محددة وظـاهرة لنـا . ويسـتطيع الانسـان أن يفحصـها لأخـر لأنهـا ظاهرة للجميع .

عناصر تكوين نفس الانسان المتصلة بعالم الغيب :

وهى العناصر التى لايستطيع الانسان أن يفحصها لأنسان أخر . لآنها ليست ظاهرة وهى المسئولة عن **العقل والشعور والذاكرة .** وكذلك ادراك مايؤثر على الانسان فى عالم الغيب الذى لايدركه الانسان بحواس جسده الظاهرة .

ونحن لا نستطيع ان نطلق صفات عالم الظاهر التى ندركها بحواس العالم الظاهر على عناصر تكوين نفس الانسان المتصلة بعالم الغيب . فلا يصح أن نقول أن لها طول أو وزن أو لون أو غير هذا من صفات التمييز التى نستخدمها فى عالم الظاهر . لان عالم الغيب لم يدخل فى ادراك حواسنا الظاهرة التى نميز بها صفات عالم الظاهر .

وقد علمنا الله عن عناصر تكوين الانسان التى تدرك أو تتفاعل مع الغيب . وهى **الصدور والقلوب والافئدة والروح** وفيما يلى تفصيل كل عنصر وحاجة الانسان اليه .

الصدور : وهى محل **(الشعور)** فى تكوين الانسان مثل أن يشعر الانسان بالانشراح أو الابتهاج أو الضيق أو الرهبة أو الندم أو الكراهية أو الحرج وغير هذا .

والصدور هى مستودع **الذاكرة** حيث تحتوى على ما يحفظه الانسان مثل حفظه للقرآن .

كما فى قول الله **(بل هوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِين أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَما يجحدُ بِآيَاتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۝{٤٩}۝ العنكبوت) .**

وكذلك تحتوى الصدور على الحقائق التى يعرفها الانسان وعلى القيود والاغلال التى يرضاها القلب ويقبلها الانسان ولا يعارضها . **(وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنا ۖ وَاتَّقوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝{٧}۝ المائدة)**

وتحتوى الصدور على المقاييس التى يميز بها الانسان بين الحسن والقبيح أو يُفاضل بها بين الاشياء . مثل قول الله **(قلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقا مِمَّا يكبْرُ في صُدُورِكُمْ فسيقولُونَ منْ يُعِيدُنَا ۖ قلِ الَّذِي فطرَكمْ أَوَّلَ مرَّةٍ ۚ فسَيُنْغضُونَ إلَيكَ رُءُوسَهمْ وَيقُولُونَ متىٰ هوَ ۖ قلْ عَسَىٰ أَنْ يكُونَ قريبا ۝﴿٥١﴾ الاسراء)** . والصدور تحتوى على القلوب والأفئدة .

القلب : وهو محل **(عملية العقل)** داخل تكوين الانسان . أو كما نسميها الأن (التفكير وإتخاذ القرار) والتى هى (عملية غيبية) لا يراها ولا يطلع عليها أحد غير الانسان الذى يقوم بها . ولايدرى غيره مكوناتها وأسباب القرارات التى ترتبت عليها .

فما فى قلب الانسان هو غيب عن الاخرين . الا اذا أعلن هذا الانسان هذه المكونات والاسباب بصوته أو باى اداة اخرى . فنقل هذه المعلومات من عالم الغيب بالنسبة للاخرين الى عالم الظاهر . **(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بها أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِها ۖ فَإِنَّها لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝﴿٤٦﴾ الحج)** .

الفؤاد : هو **(أداة غيبية)** مثل الاذن والعين لأن الله يذكره دائما كنعمة تلحق بالسمع والبصر كما فى قوله تعالى **(قلْ هوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝﴿٢٣﴾ الملك)**

والانسان مسئول عنها كما هو مسئول عن السمع والبصر كما فى قوله تعالى **(وَلَا تَقفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصرَ وَالْفؤادَ كلُّ أُولَٰئِكَ كانَ عَنهُ مَسْئُولًا ۝﴿٣٦﴾ الاسراء)** .

وهى اداة تعمل على **الاستماع والرؤية والوسوسة فى عالم الغيب** .

وقال الله سبحانه وتعالى عن هذه الأداة والحواس المتصلة بها :

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ الانعام) . فأفئدة الذين لايؤمنون بالاخرة تسمع لشياطين الانس والجن . وترضاه **قلوبهم** التى تقوم **بالعقل أو إتخاذ القرار** وتقترف **أجسامهم الظاهرة** ما قرروا بقلوبهم أقترافه أو تنفيذه .

وقال سبحانه وتعالى عن **رؤى الرسول** عليه الصلاة والسلام فى رحلة المعراج

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ النجم)

والنفس تقوم بعملية الوسوسة كما قال الله سبحانه وتعالى عن ذلك **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ق)** وتقوم النفس بالوسوسة عن طريق الفؤاد .

ولكى يدرك الانسان وظيفة فؤاده كما يدرك وظيفة عينه أو أذنة . عليه فقط أن يصمت وينتبه ويحرص على أن لايفكر . وسيجد بعض المعلومات التى تتسرب الى قلبه على هيئة كلام أو صور ثابتة أو متحركة .

وهذه المعلومات التى تتسرب الى قلب الانسان تكون بخصوص شىء ما داخل دائرة اهتمام هذا الانسان . وربما بخصوص ما يسمعه أو يراه أو يقرأه فى هذا الوقت .

وهذه المعلومات تتسرب الى قلب الانسان عن طريق **الفؤاد** الذى يسمع ويرى مايحدث فى عالم الغيب مثل وسوسة الشياطين ووسواس الانس فى الغالب .

وعندما يستمع الانسان الى وسوسة الشياطين او وسوسة الانس . يكون له رد فعل عليها . فهو ربما يوسوس للاخرين وربما يتبع الشياطين ويرضى عن وسوستهم .

وفى وقتنا هذا الذى يثق جميع الناس فيه تقريباً بعلوم من لايؤمنون بالغيب ثقة عمياء . أصبح الانسان يسمى هذه المعلومات التى تأتيه من عالم الغيب **(الأفكار)** . ويتعامل معها بعشوائية فهو لايعرف مصدرها ولا ماالمقصود منها ولا طريقة وصولها اليه . وهذا خطأ بالغ يتسبب فى مشاكل كبيرة كما سيتبين فى الموضوعات التالية فى هذا الكتاب .

والفؤاد مسئول كذلك عن رد فعل الانسان . فلو كان الانسان منتبهاً لفؤاده ومتفهما لوظيفته . مثلما يتفهم وظيفة العين والاذن . وهذا يحدث مع الانتباه والقيام بالعبادات كما سيأتى ذكره . فان الانسان يكون ثابتاً فى ردود أفعاله على مايتعرض له . واذا كان الانتباه للفؤاد معدوما أو ضعيفا فان الانسان يكون عجولاً ومتهورا أو مهزوزاً وجباناً .

الروح : لم يخبر الله سبحانه وتعالى أحداً بسر الروح وقال عن ذلك : **(وَيسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قلِ الرُّوحُ مِنْ أمرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝{٨٥}۝ الاسراء)** .

ومعنى انهم كانوا يسئلون عن الروح فهذه اشارة واضحة لنا على أن هؤلاء الناس الذين كانوا يعيشون مع الرسول ويسمعون منه كانوا مهتمين بمعرفة تكوين انفسهم .

الشيطان

وبعد هذه الرحلة السريعة داخل نفس الانسان . لننظر ما الذى أخبرنا الله سبحانه وتعالى به عن مايفعله الشيطان داخل هذه النفس . وكيف يستدرجها ويوجهها ويستحوذ عليها ويتسبب بذلك للانسان فى كثير من الشر .

الشيطان كما تقدم أعلن عداوته وعزمه على إضلال الانسان كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى قائلاً (**لَعَنهُ اللَّهُ ۘ وَقالَ لَأَتَّخذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهمْ وَلَآمرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعامِ وَلَآمرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خسرَ خسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ النساء)** . وقد استغل موقعه من انه يستطيع أن يرانا ولا نستطيع أن نراه . بدعوتنا الى ما فيه الخسران لنا والى مايسبب الفساد فى الارض . والتى من المفترض أن نحافظ عليها وان لانفسد فيها .

وقد أعطانا الله سبحانه وتعالى تحذيراً من أن يفتننا الشيطان كما فعل مع أبوينا من قبل . فقال **(يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتننكُمُ الشَّيْطَانُ كَما أَخرَجَ أَبوَيكُم مِّنَ الْجنةِ ينزِعُ عَنْهُما لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُما سَوْآتهمَا ۗ إِنَّهُ يرَاكُمْ هوَ وَقبيلهُ مِنْ حيث لَا ترَوْنهُمْ ۗ إِنَّا جعَلْنا الشَّيَاطين أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمنُونَ ﴿٢٧﴾ الاعراف)** .

وعندما يحذرنا الله مثل هذا التحذير . فلا بد من أن نأخذ هذا التحذير بجدية . وأن نتسائل **كيف نستطيع أن نكون على حذر من فتنة الشيطان تلك؟** وهذا اذا أردنا **أن نتخذ خطوات جادة وعملية** لنكون على حذر من شر الشيطان وأن ننجوا من المصير الذى يريده لنا .

ولقد أعطانا الله العلم والادوات التى بها نستطيع أن نكشف شر الشيطان وأن نتغلب عليه .
فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن ابليس وجنوده يوسوسون لبنى آدم .
أى أن وسيلة خداع الشياطين للانس هى عن طريق الصوت أو الكلام . وعن طريق وسوسته تلك يسيطر الشيطان على الانسان ويجعله يتصرف بطريقة خاطئة كما فعل مع آدم وزوجته عليهما السلام .
ولكى يستحوذ الشيطان على الانسان عليه أن يستحوذ على عملية العقل الغيبية التى تسوق حركة الانسان الظاهرة . **ومعنى هذا ان أرض المعركة الحقيقية بين الانسان وبين الشيطان تحدث فى عالم الغيب الذى لا يدركه الانسان بحواسه الظاهرة .**
والوسيلة التى يستطيع بها الانسان أن يكون على حذر من الشيطان هى أن يستخدم حواسه المتصلة بعالم الغيب . وكما نعلم من القرآن فإن الانسان يسمع ويرى مايحدث معه فى عالم الغيب عن طريق (الفؤاد) .

ماذا يعنى إستحواذ الشيطان على الانسان ؟

استحواذ الشيطان على الانسان تعنى أن الشيطان يمتلك ارادة الانسان . والنتيجة المادية لذلك هى أن الشيطان يصبح له سلطان على جسد الانسان الموجود فى الأرض والتى هى (مكان التمكين) . فيأمره بالفعل ويطيعه الانسان بدون أن يستطيع معارضته . لأن الشيطان يجبره على الفعل . لأن إرادة الانسان أصبحت فى قبضة الشيطان .
وهذا يحدث عندما يكون الانسان غافلاً عن وسوسة الشيطان . ويظن أن هذه الوسوسة هى (أفكار مجهولة المصدر) . **ويظن انه يفكر** (وأنه يتوصل لقراراته بناءاً على هذه (الافكار) التى تعبر هى طبيعته (الشخصية)) . ولا يدرى وقتها بأن الشيطان يغذيه بما فيه هلاكه وفساد حياته .

وهكذا يسيطر الشيطان على عملية العقل بدون صعوبة .

ويقوم الشيطان بالوسوسة الدائمة التى لاتنقطع على كل مايراه الانسان أو يسمعه أو يتعامل معه فى عالم الظاهر . فيفسر للانسان كل شىء كما يريد .

ويستخدم الشيطان المقاييس التى يضعها الانسان كمعيار للافضلية والمحفوظة فى صدر الانسان من اجل ان يغوى الانسان ويضله .

فمثلاً عندما يكون الانسان مقتنعاً (أنه اذا أمتلك الكثير من المال فانه سيكون مرتاحاً ومبتهجاً) . يأتى الشيطان اليه ويجعله يحسد ويحقد على من عندهم الكثير من المال . ويقارنه بهم ويوهمه انهم مرتشين وسارقين . وأنه لكى يكون غنياً لا بد من أن يكون مثلهم . فيستحل الرشوة و السرقة إذا استطاع ذلك .

أو يشتكى ويحقد ويحسد ويغتاب الأخرين ويذمهم . ويعيش حياة سيئة . ولا ينتبه لنعم الله المسخرة له والتى ربما لا ينالها غيره من الناس . وكذلك لا ينتبه للنعم التى يشترك فيها جميع المكلفين الناس مثل التمكين فى الارض وقدرة الانسان على التفكير . ونتيجة لذلك فهو لا يشكر الله على ما أنعم به عليه .

وفى مثال آدم عليه السلام عرف الشيطان عن آدم عليه السلام انه **يكبُر الملائكة ويرى فيهم مخلوقات أفضل منه** . وكأنه كان يتمنى أن يكون منهم . **ماذا فعل الشيطان معه؟** جاء الشيطان اليه واستغل تقديره للملائكة ليوسوس اليه . وليعطيه حجة تجعله يستسهل عملية الخروج عن أمر الله . وهو يفعل ذلك ايضاً مع جميع بنى آدم .

وكان آدم عليه السلام يرى كما يرى جميع الانس أن **الخلود أمر مستحسن** . فأوحى اليه الشيطان بأن الله لايريد له الخلود . ولذلك فقد منعه من الاكل من هذه الشجرة التى تجعل الانسان خالداً . أى أنه أوحى اليه بأن الله يمنع عنه مافيه خير له .

ومعنى هذا انه أوحى لأدم عليه السلام بأنه لن يكون فى نطاق سلطة الله أو قدرة الله عليه **وأن الله يقيده** . أى أنه سيكون **(حر)** وسيعيش للابد ولن توضع له أية حدود .

فآدم عليه السلام بدلاً من أن يقول إن الله يأمرنى بما فيه الخير لى ويمنعنى عن مافيه شر لى . ظن أن الله يمنعه مما فيه الخير له . فخالف أمر الله أى أنه **صدق كلام الشيطان .** والشيطان عمل على تشويه المعلومات الموجودة أو المخزنة فى صدر آدم عليه السلام . ووضع معلومات مضادة لها . فاختلط الامر على آدم عليه السلام . وفهم المعلومات التى أخبره الله بها بطريقة خاطئة . فقام بفعل خاطىء لم يكن من المفترض أن يقوم به .

فآدم وزوجته عليهما السلام لم يكونا على حذر من الشيطان . وهذا ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى . كما حذر الله سبحانه وتعالى بنى آدم من أن يخدعهم الشيطان كما استطاع أن يخدع أبوينا من قبل .

ونتيجة لوسوسة الشيطان فان الانسان يفهم مايراه وما يسمعه وما يعرفه بطريقة خاطئة . فيتفاعل هذا الانسان مع ظروف الحياة بالطريقة التى يوسوس بها الشيطان اليه .

وعندما يكون الانسان جاهلاً بوجود الشيطان أو غافلاً عنه . يصبح للشيطان سلطان عليه . فيمتلك الشيطان القدرة على استخدام جسد الانسان كما يريد .

فيأمر الشيطان ويطيعه الانسان . ولا يدرك هذا الانسان الغافل مايفعله الشيطان به . ثم يتساءل بعد ذلك ويقول **لا أدرى (لماذا أقوم بما أقوم به؟) .**

وقد قال الله سبحانه وتعالى **(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعا فَيَحْلفونَ لَهُ كَما يحْلِفونَ لَكُمْ ۖ وَيَحسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ المجادلة)**

عندما لا ينتبه الانسان لعداوة ووسوسة الشيطان فانه يعمل بتوجيهات الشيطان له . ثم يصبح عبداً ومملوكاً للشيطان . فيشوه الشيطان ادراك هذا الانسان ويحركه كما يريد وينسى هذا الانسان ذكر الله ولا يكون حذراً من الله أو من حساب الله له .

ويوجهه الشيطان فى طريق الحرص على الدنيا . ويزين له الدنيا ويجعلها مطلبه الأول . فيحرص على مافيها من زينة ومتاع . ويوهمه بأنه لكى يستطيع الحياة بطريقة جيدة عليه أن يخدع الناس . ولا يُقدّر حدود الله حق قدرها . فيكذب ويحلف بالكذب ليخدع الناس . ليكتسب مالا حق له فيه . أو لمجرد اللهو والعبث .

ثم يأتى يوم القيامة معتاداً على هذا الاسلوب . ولكنه لا يستطيع أن يكذب على الله سبحانه وتعالى كما كان يخدع الناس لأن الله على كل شىء شهيد . فيكون مصيره هو الخسران . لآنه لم يكن على حذر من الشيطان وكان طيعاً له يفعل به مايريد . فهو من حزب الشيطان . والشيطان لن يرحم أى إنسان . حتى من يرتكب كل شر ومحرم . يريد الشيطان أن يظل هذا الانسان أعمى . فيملأ صدره بالوسوسة بغير حدود ويضله ويجعله تائهاً . ويسوقه الى مزيد من الافعال المؤذية والشريرة والمحرمة حتى لحظة موته .

والانسان مسئول عن أفعاله وحتى عن وسوسته للاخرين . وعليه أن ينتبه لحواسه التى تتفاعل وتدرك ما يؤثر عليه فى عالم الغيب . حتى لا يكون لعبة يحركها الشيطان كما يريد .

اذاً فالانسان يتعامل مع تهديد اذا لم يضعه فى اعتباره ويأخذه على محمل الجد . سيكون من الخاسرين فى هذه الحياة وكذلك سيكون من الخاسرين يوم القيامة .

وكما بين الله للانسان عداوة الشيطان له . فقد بين له طريقة النجاة من شر الشيطان ومن شر أولياءه . فقال سبحانه وتعـالى **(إِنَّ الَّذِينَ اتقـوْا إِذَا مَسَّـهُمْ طـائِفٌ مِنَ الشَّـيْطَانِ تَذَكَّرُوا فإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۝{٢٠١}۝ الاعراف) .**

فى هذه الاية يحدد الله سبحانه وتعالى للانسان . صفة أساسية للذين يـدركون أقـل قـدر من حضور الشيطان ووسوسته . وهذه الصفة هى انهم هم الذين **(أتقوا) .**

فهم الذين يلاحظون فعل الشيطان عندما يحاول هذا العدو التلاعب بهم واضلالهم .

وهذا معناه أننا عندما نكون من المتقين . سنعرف كيف ننتصر على الشيطان .

فما هى التقوى؟ **وكيف نكون من المتقين؟**

الفصل الثانى

التقوى

فى موضوعى التقوى والعبادات سنرى كيف بين الله لنا بطريقة عملية تطبيقية . كيف نعـرف الشيطان وكيف نحدد وسوسته وكيف ننتصر عليه .

وكمـا تـبين فى النقطـة السـابقة . فـان المتقين هم الـذين يكتسـبون مهـارة انهم يـدركون ويبصرون حضور الشيطان وهم الذين يدركون وسوسـته . **ولـذلك فـان الـتزود بـالتقوى هى عملية أساسية فى دين الاسلام . ولابد للانسان من أن يتقنها حـتى يـدرك مكـر الشـيطان به ويتجنب الوقوع فى مصائده وشره .**

تعريف التقوى

يمكن **تعريف التقوى** على أنها هى **الاجراءات** التى يتخذها الخائف الحـذر . ليتجنب اسـباب الشر الذى يخاف من وقوعه له . ويُحصل اسباب الخير الذى يريده لنفسه .

والانسان المؤمن يؤمن بأن الله قادر عليـه ان شـاء انعم عليـه وان شـاء سـبحانه قـدر عليـه . ويؤمن بانه مؤاخذ على افعاله سـواء بـالثواب او بالعقـاب . فهـو يحـذر ان يصـيبه شـر ابـدى نتيجة افعاله المنافية لما بينه الله له . ويطمع فى ان يغفر الله له زلاته وخطأه ويطمع فى ان ينجيه الله من عذاب النار ويطمع فى ان يدخله الله الجنة .

فالمتقى يريد ان يفعل الفعل الذى يوصله للخير ويجتنب الفعل الذى يجلب عليه الشر .

أما الفعل الذى يوصل الانسان للخير فهو بأن يكون طائعاً لله منفذاً لما امره به وما أوصـاه بـه وممتنعاً عن ما نهاه عنه . وأما الفعل الذى يجلب الشر على الانسان فهو اتباعه للشيطان .

فاذا تسلط الشيطان على الانسان ولم يكن هذا الانسان على حذر منه . فإن الشيطان يفسد قلبه ويُكثر فيه الخبث وما لافائدة فيه . مما يؤدى الى ضلاله وهلاكه وانقطاع الخير عنه .

ووصف الله سبحانه وتعالى التقوى قائلاً (**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِبَاسا يوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِباسُ التَّقوَىٰ ذَٰلكَ خيرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ الاعراف)** .

فوصف (**لِباسُ التَّقوَىٰ**) هو وصفٌ يوضح حقيقة التقوى . لأن الانسان حين يكون من المتقين . فكأنه يضع درعاً حول نفسه يحميه من الشيطان ومن أولياءه . ولن يستطيع الشيطان بذلك أن يتمكن منه أو يستحوذ عليه . ولن يستطيع ان يجعل هذا الانسان عرضة لغضب الله أو للعذاب فى الدنيا او فى الاخرة .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى (**ذَٰلكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ**) . فهذه أية من الأيات **(التى فى أنفسنا)** الدالة على أن **الرسول محمد عليه الصلاة والسلام** هو رسول من الله الخالق سبحانه وتعالى عالم السر والغيب الى الناس كافة .

والأية هى أن من يتزود بالتقوى سوف يتجنب شر الشيطان ومكره . وسيجد الانسان ذلك واقعاً وحقيقياً عندما يلتزم بالتزود بالتقوى كما أوصانا الله بذلك . وعندما لايلتزم الانسان بحدود التقوى يترتب على ذلك نتائج سيئة فى حياة الانسان والمجتمع .

والعبادات هى الوسيلة التى تساعد الانسان ليكون من المتقين الذين يفعلون الخير ويجتنبون حدود الوقوع فى الشر . وهذا من قول الله **(يا أيُّها النَّاسُ اعْبدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتقونَ ﴿٢١﴾ البقرة)** .

حالة التقوى إذاً كما قد تبين حتى الأن هى الحالة التى عندما يكون الانسان فيها . فانه يكون منتبهاً وحذراً . ويستطيع أن يدرك كلام الشيطان ومكره عندما يوسوس له . ويكون كذلك مسيطراً على نفسه سيطرة تامة . ولا يستطيع الشيطان إغوائه أو السيطرة عليه .

والعبادات هى الوسيلة التى من خلال القيام بها يستطيع الانسان تحصيل حالة التقوى .

وهذه العبادات هى **قراءة القرآن والذكر والصلاة والصيام والصدقة والحج والاضحيات .**

أمثلة عن ارتباط مفهوم التقوى بالعبادات فى آيات القرآن الكريم

عن القرآن يقول الله سبحانه وتعالى : **(أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِركم وَلِتَتَّقوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝{٦٣}۝ الاعراف) .**

كما وصف الله سبحانه وتعالى القرآن بقوله : **(وَإِنَّهُ لَتذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۝{٤٨}۝ الحاقة) .**

وقال سبحانه **(فَإِنَّمَا يسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝{٩٧}۝ مريم)**

وعن الاضحيات قال الله سبحانه وتعالى :

(لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلَا دِماؤُها وَلَٰكِنْ ينالُهُ التَّقوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝{٣٧}۝ الحج) .

وعن الذكر والصلاة وعلاقتهما بالتقوى قال سبحانه وتعالى **(فَاصْبِرْ عَلَىٰ ما يقولُونَ وَسَبحْ بِحَمدِ رَبكَ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبلَ غُرُوبها ۖ وَمنْ آناءِ اللَّيلِ فَسبحْ وَأَطرَافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝{١٣٠}۝ وَلَا تَمدَّنَّ عَيْنَيكَ إِلَىٰ ما مَتّعْنا بِهِ أَزْوَاجا منْهُمْ زَهرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خيرٌ وَأَبقىٰ ۝{١٣١}۝ وَأْمرْ أَهْلَكَ بِالصلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها ۖ لَا نَسأَلُكَ رِزْقا ۖ نحْنُ نَرْزُقكَ ۗ وَالْعَاقِبةُ لِلتَّقوَىٰ ۝{١٣٢}۝ طه) .** أى أن الانسان يتزود عن طريق الذكر والصلاة بالتقوى وأن التزود بالتقوى أهم للانسان من البحث عن التزود بمتع الدنيا وزينتها .

ومن المعروف لكل مؤمن ان الله خلق الانسان لعبادته . أى ان جميع افعال الانسان طوال حياته من المفترض ان تكون وفق أوامر من الله . كما فى قول الله **(ما خَلقتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبدُونِ ۝{٥٦}۝ الذاريات) .** ويعرف الانسان ما عليه فعله عندما يتقرب الى الله ويكون من المتقين . فانه بعد ذلك يكون من المهتدين .

وعندما يكون الانسان من المهتدين . فان الله يشرح صدره للامور والافعال التى عليه القيام بها فى حياته . ويصرفه عن الامور والافعال التى عليه إجتناب فعلها . فيعيش الانسان متتبعاً لنور الله ويكون من المفلحين .

التزود بالتقوى إذاً هى من أهم وظائف العبادات اليومية او السنوية التى يقوم بها الانسان كما شُرعت للمسلمين بفعل الرسول عليه الصلاة والسلام . ليعيش الانسان طيلة حياته حذراً ومحتمياً من الشيطان ومن خبثه وعداوته . فيدخل فى طاعة الله طوال حياته . فيكون من المهتدين والطائعين والمحسنين والمفلحين .

وعندما يتزود الانسان بالتقوى فهو يتجنب أذى الشيطان ويحافظ على قوته وقدرته لفعل الخير وفعل ما خلقه الله من أجله بإحسان وإتقان .

لأن الشيطان يعمل على أشتعال الفكر فى قلب الانسان عن طريق الوسوسة . والافعال التى يرتكبها الانسان نتيجة ذلك هى أفعال ضارة وغير صالحة . وهو بهذا يستهلك طاقة الانسان وقدرته فيما لا يفيد .

ولكى نعرف حالة التقوى هذه معرفة صالحة للتطبيق فى الحياة بطريقة عملية . يستطيع كل انسان ان يفهمها بسهولة ليتمكن من صد شر الشيطان عن نفسه . نحتاج الى تشريح مبسط للعبادات .

العبادات

للعبادات فوائد مهمة فى نفس الانسان فى هذه الحياة التى نحياها على الارض . فليس كل نفعها أننا سئُسأل عنها ساعة الحساب . فالعبادات كما ذكر الله فى القرآن هى الوسيلة التى يتزود الانسان من خلال إقامتها بالتقوى .

وموضوع الطرح هنا هو علاقة الشيطان بالانسان وإيضاح **التقوى** إذ أن الشيطان يريد قطع صلة الانسان بالخالق سبحانه وتعالى . ولست اتحدث هنا عن الفرائض او السنن فهذه امور يتناولها علماء الفقه والسنة والحديث بالتوضيح .

وكما قد ذُكر من قبل . فان التزود بالتقوى هى الوسيلة التى يكتسب بها الانسان القدرة على الاستماع لوسوسة الشيطان وكلامه . وباتقان العبادات يستطيع الانسان ان يفهم كيف يتجنب شر الشيطان اذا حاول التأثير عليه أو خداعه أو استدراجه واضلاله .

فيكون الانسان بذلك قادراً على أن يصد شر الشيطان ومكره وعدوانه .

والعبادات أيضا هى وسيلة الوصول لليقين

كما قال الله سبحانه وتعالى **(فسبح بِحَمدِ رَبكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝﴿٩٨﴾ وَاعْبدْ رَبَّكَ حتىٰ يَأْتِيكَ الْيَقِينُ ۝﴿٩٩﴾ الحجر)** فكلمة (حتى) هنا هى كلمة (شرطية) . أى أنه طالما تعبد ربك فانك ستكون على يقين واطمئنان على صحة تصرفاتك وأفعالك ومواقفك . فاذا توقفت عن العبادة دخل اليك الشك والارتباك والارتياب . ومعنى التصرف بيقين هو التصرف المبنى على رؤية واضحة و على علم و بعقل ثابت مطمئن .

وأبدأ بتشريح العبادات لنعرف كيف يتزود الانسان منها بالتقوى وكيف يصل لليقين من خلال إقامتها .

الصلاة

من فوائد الصلاة التى ذكرها الله فى القرآن هو أنها تعكس عمل الشيطان . فقال سبحانه عن عمل الشيطان (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا لَا تَتَّبِعوا خُطوَاتِ الشَّيْطانِ ۚ وَمَنْ يتّبع خطوَاتِ الشَّيْطَانِ فإِنَّهُ يأْمرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحمتهُ ما زَكَىٰ مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ النور) .

وقال عن الصلاة (اتلُ ما أُوحي إلَيكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحشاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعلمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ العنكبوت) .

ولنرى .. ماذا يفعل المؤمن فى الصلاة ؟ وماذا يفعل الشيطان ؟

وماهى دلالة هذه الامور فى الحياة ؟

فى الصلاة يقوم الانسان بتوحيد **قلبه** (المسئول عن الفعل الغيبى وهو عملية العقل) **وجسده** (المسئول عن الفعل الظاهر) فى ذكر الله فى عملية واحدة . فالجسد يسكن مطمئناً وهادئاً أو يتحرك بطمأنينة . ويكون الانسان ذاكراً لله بقلبه ولسانه . و(بخشوع) وحال الخاشع هو أن يكون حال الانسان هو حال السائل المحتاج لفضل الله والخائف من عذابه .

ونذكر الله قياما وركوعا وسجوداً وقعودا . بقراءة القرآن وبالدعاء والحمد والتسبيح . كما تعلمنا من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام .

فماذا يفعل الشيطان ونحن نقوم بهذا الذكر داخل الصلاة؟ يوسوس الشيطان للانسان ليشتت انتباهه عن ذكر الله . فيتكلم عن شيء ما أو يصور للانسان نفسه وقد قال كذا لفلان . أو أنه قد فعل كذا . أو أن هناك من سيفعل له هذا الفعل أو ذاك .

أو ان عليه أن ينتهى من الصلاة بسرعة لعمل هام نسي القيام به . أو يشغله بأية مشاكل يواجهها أو يشغله بالاخرين . أو أى تشتيت أخر للانتباه عن ذكر الله وعن الصلاة .

فما هو رد فعل الانسان؟

- إما ان يتبع الشيطان وتتطور الحكايات التى تصل الى قلبه . فيدخل فى صراعات مختلفة . أو تتطور الى أطماع أو مخاوف أو غير ذلك وينسى انه يصلى . فيقف ويركع ويسجد ويجلس بجسده الظاهر بدون أن يدرى ماذا يقول . غير بعض الاذكار المخزنة فى صدره . ولايعى منها شيئاً الى ان تنتهى الصلاة . وربما لايعرف كم صلى من الركعات . وهل نسى ركن من اركانها ام لا . وفى هذه الحالة لن يفوز من صلاته بشىء .
- أو يحافظ الانسان على انتباهه داخل الصلاة . فينتبه لذكر الله . وفى نفس الوقت يعى ما يحاول الشيطان أن يقوم به . فينتبه لما يسمعه ويراه بفؤاده . وتتطور لديه القدرة على ملاحظة فعل الشيطان . وينتبه لوسوسة الشيطان بوضوح . ويميز أساليب مكر الشيطان به . ويرى كيف يمكن للشيطان أن يجعله متسرعاً أو خائفاً . ويرى كيف تتصاعد انفعالاته نتيجة الاوهام التى يبثها الشيطان فى قلبه .

ويقوم فى نفس الوقت بالالتزام بالطمأنينة . ويعرف زيف وساوس الشيطان فيهملها . ومع المحافظة على الصلاة يتمكن الانسان من وضع الحدود بينه وبين الشيطان . وتتطور قدرته على الرؤية والاصغاء عن طريق الفؤاد كلما صلى . وخاصة فى الاوقات التى يتعرض فيها لظروف الحياة المختلفة . والتى تشغله وتغضبه وتضيق صدره .

فيتعلم من كل صلاة الصبر على البقاء فى طريق الله المستقيم ويتعلم التوكل على الله والاستعانة به . ويعرف طرق الشيطان . ويتمسك بطريق الله خاصة عندما يتعرض لاولئك الذين يعتمدون على الشيطان فى استمداد القوة منه اثناء حركة الحياة .

فالصلاة التى هى صلة بالله تعتبر وقت للحرب مع الشيطان وأولياءه . لان هدف الانسان هو أن يذكر الله بانتباه كامل وبإطمئنان . والشيطان يريد أن يمنع الانسان من أن يكون على صلة بالخالق ويريد ان يمنعه من ذكر لله . ويريد الاستحواذ على انتباه الانسان . وهو لن يترك الانسان يصلى لله بدون أن يدخل اليه ليشتت أنتباهه ويصرفه عن ذكر الله .

فيقوم الشيطان بالهجوم بكل طاقته ويلتزم المصلى بالتوكل على الله والثقة به . ويلتزم بالحرص على ذكر الله وحده والاستعانة به .

وعندما يصلى الانسان عليه أن يصلى بعض الصلوات الطويلة . وعليه أن يجدد أذكاره كلما قرأ القرآن وانتبه لدعاء أو ذكر لم يكن منتبهاً له من قبل .

فهذه ستكون صلاة فيها الكثير من النفع لنفس الانسان . ويخرج منها وبه راحة وقد أنتصر على الشيطان وعرف معظم خدعه ومكره .

وعند محافظة الانسان على أقامة الصلاة فى مواعيدها . وعند اجتهاده فى الانتباه للذكر وملاحظة أفعال الشيطان . تدريجياً سيعرف الانسان طبيعة هذا العدو . وسيعرف كيف يحذره وهو فى الصلاة . وأيضاً وهو خارج الصلاة أثناء حياته كلها . فلا يستطيع الشيطان أن يمكر به أو أن ينزغ بينه وبين من يتعامل معهم . ولايستطيع أن يستحوذ عليه .

الصلاة إذاً هى تدريب مستمر ليكون الانسان من عباد الله المخلصين . ومستطيعاً باستمرار أن يُحبط كيد الشيطان . ويتغلب على وساوسه المستمرة بارتكاب الاعمال الفاسدة أو تسبيب الأذى للاخرين أو التفريق بين الناس .

وفى بعض الاوقات عندما يصلى الانسان ويدخل فى صراع مع الشيطان . فيتغلب الشيطان عليه حيناً ويستحوذ على انتباهه . ويتغلب هو على الشيطان حيناً . وهذا يحدث كذلك أثناء حركة الحياة اليومية المستمرة .

فالصلاة جهاد . يعمل فيها الانسان للتغلب على الشيطان ومنع سيطرته أو استحواذه عليه .

ويصل الانسان لليقين عندما يميز صوت الشيطان أو (شخصية الشيطان) ويعرفه معرفة كاملة ويكون دائم الحذر منه . أى أنه سيكون مطمئن لصحة مايقوم به دائماً . لانه عندما يميز وسوسة الشيطان فى الصلاة فسيميزها كذلك فى باقى اوقات اليوم . وعندما يسمع وسوسته فلن يصدقه ولن يتبعه . وسيسير فى حياته على نور من الله . ويكون على معرفة تكفل له الحياة المثمرة بدون أن يؤثر عليه الشيطان أو يسبب له الضلال أو الارتباك .

وسيجد الانسان ان الشيطان يلقى بعبارة ما او يُذّكر الانسان بصورة عن موقف ما ثم ينتظر رد فعل الانسان عليه . ويحدث هذا طوال الوقت سواء كان الانسان فى الصلاة او فى الحياة اليومية المستمرة . وسيعرف الانسان كيف يفرق بين وسوسة الانس ووسوسة الشيطان .

وهذه عملية يحدث لها تطور كلما أقام الانسان الصلاة .

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى **(يا أَيُّها النَّاسُ إنا خَلَقْناكمْ مِنْ ذَكرٍ وَأُنْثَىٰ وَجعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أكرَمكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝{١٣}۝ الحجرات)**

فالانسان الاتقى هو الافضل . لأنه يطور قدرته على ادارة فكره وينقيه من العشوائية فينعكس ذلك على حياة الانسان المؤمن بظهور الخير .

كما قال الله سبحانه وتعالى **(وَلَوْ أَنَّ أَهلَ الْقرَى آمَنوا وَاتَّقوْا لَفَتَحنا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخذْنَاهُمْ بِما كانُوا يكسبونَ ۝{٩٦}۝ الاعراف)** .

وتحدث العشوائية أو الضلال نتيجة الجهل والجشع والحرص على المادة ونتيجة عدم الاهتمام بالدين . ونتيجة البعد عن الفهم الصحيح للدين المنزل من الله سبحانه وتعالى . كما ان العشوائية تحدث نتيجة استبدال علم القرآن بظنون من لايؤمنون بالغيب .

وعندما يتوقف هذا الانسان عن الصلاة . فسيكون كذلك مدركاً لوساوس الشيطان وكلامه . ولكن الشيطان سيبدأ فى التغلب عليه بالتدريج . فيختلط فى قلب الانسان مايفكر هو فيه مع ما يوسوس به الشيطان اليه . فيدخل اليه الارتباك والشك فى صحة مايفعل وفى صحة مايفكر فيه ويقرره .

ومن المفيد هنا أن أكرر أن الانسان فى زمننا هذا يظن أنه (يفكر) . فيحاول أن يوقف أفكاره كما يقولون . ولا ينجح فى هذا . لآنها ليست أفكار الانسان . وهو لايتحكم بهذا السيل من الوسوسة . لأنها لا تنبع من عقل الانسان .
وانما هى وسوسة من عدو يرانا ولا نراه أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنه . وهو يريد الشر للانسان . ولن يتوقف عن إيذاء الانسان طالما كان الانسان غافلاً عن شره وعدوانه ومكره ووسوسته .

وكذلك من الممكن أن تكون هذه الوسوسة هى وسوسات الانس الذين يتعامل معهم الانسان . والذين من الممكن ان يكون قد ظلمهم . أو ان يكونوا من أولياء الشيطان .

الانسان وحده هو الذى يستطيع ان يحدد ذلك . عندما يكون صادقاً مع الله وعندما يخشى الله ويخشى عقابه . فعليه إما أن يكون حذراً من اولياء الشيطان وأن لا ينساق فى الوسوسة اليهم كما يوسوسون له . وأن يصلح ماتسبب فى افساده لغيره من الناس .

وقد قال الله سبحانه وتعالى عن المساجد انها يجب ان تؤسس على التقوى .

(لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ التوبة) .

وبمعنى عملى تؤسس لتقوم بمهمة محاربة الشيطان ولتوعية المسلمين ليكونوا على حذر دائم من الشيطان . فيحاربه المسلمون مجتمعون . ولا يذكر فى المسجد الا الله سبحانه وتعالى . وكما نرى فان عكس التقوى هو (**شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**) بمعنى ان **التقوى** هى ارض صلبة وءامنة اذا اقام الانسان بناءه عليها فانه يكون فى امان من السقوط فى نار جهنم .

ولذلك فان التقوى هى اساس البناء .

الذكر

عندما يجلس الانسان ليذكر الله بالتسبيح او الحمد او التكبير او الدعاء . فان الشيطان يوسوس للانسان حتى يصرفه عن الذكر . فينتبه الانسان لخبث الشيطان ويكون حريصاً على أن لايصرف انتباهه عن الذكر الى ما يوسوس الشيطان بشأنه .

فان الشيطان (كما سيلاحظ الانسان) سيوسوس بحكاية أو بمشكلة ما يواجهها الانسان فى ذلك الوقت . حتى اذا يئس من جذب انتباه الانسان اليه بسببها . استبدل وسوسته بأمر أخر . ثم بأمر غيره . وهكذا .. حتى يعجز عن استكمال وسوسته أو تسبيب الضيق للانسان . فيخرج الانسان من جلسة الذكر هذه وقد تخلص من وساوس الشيطان لبعض الوقت .

وقد قال الله **(وَمنْ يَعشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطانًا فهو لَهُ قرِينٌ ﴿٣٦﴾ الزخرف)**

ومعنى هذا أن الانسان لابد أن يُبقى قلبه منتبهاً ومشغولاً بذكر الله . أو بعمل من الاعمال النافعة التى يفعلها الانسان وهو يراعى مراقبة الله له فيها . لأن الانسان اذا كان غافلاً عن ذكر الله . فان الشيطان يشغله بكل ما ليس له أهمية .

وجميع ما يمر فى فكر الانسان بدون أن يكون قاصداً للتفكر فى أمر معين . هو فى الغالب من وساوس شياطين الانس والجن .

والذكر واجب يومى . كما جاء فى أيات القرآن عن التسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها . وكذلك التسبيح أثناء الليل . والاستغفار وقت السحر .

وقال الله سبحانه وتعالى **(وَاذْكرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفةً وَدُونَ الْجَهرِ مِنَ الْقوْلِ بِالْغدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ الاعراف)**

قراءة القرآن

قراءة القرآن من أهم ما يجعل الانسان قادراً على التزود بالتقوى والبعد عن الشيطان والقدرة على تخليص النفس من سلطان الشيطان عليها . وهو أمر من الله واجب على الانسان فعله يومياً بقدر مايستطيع كما جاء فى سورة المزمل .

عندما يجلس الانسان ليقرآ القرآن . فان الشيطان يعمل على تشتيت تركيزه عن القراءة . فاذا نجح الشيطان فى تشتيت انتباه الانسان . يدرك الانسان أن انتباهه قد انتقل الى أمر أخر قد وسوس به الشيطان أو وسوس به الانس اليه . ثم يعود الى الايات التى كان منتبهاً فيها للقرآن ليستكمل القراءة .. وهكذا .
فهذا صبر وجهادٌ كبير ضد الشيطان . وعندما يعى الانسان القرآن الذى يقرأه فانه يدرك مالا يستطيع من لايقرأ القرآن أن يدركه . ويحتوى القرآن على حدود التقوى . فقراءة القرآن هى وسيلة المؤمن ليعرف الحدود التى بينها الله للانسان . حتى لا يستغل الشيطان جهله ويوجهه الى مانهى الله سبحانه وتعالى عنه .

وقراءة القرآن فيها تذكير بالحدود التى على الانسان الالتزام بها حتى يحافظ على صلته بالله الهادى وحتى لا يدخل فى طريق الشيطان الذى يضله ويؤذيه .

الصيام

(يـا أَيُّهـا الَّذِينَ آمنـوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّـيَامُ كَمـا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقـونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامـا مَعـدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ كَـانَ مِنْكُمْ مَرِيضـا أَوْ عَلَىٰ سَـفَرٍ فَعـدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخـرَ ۚ وَعلَى الَّذِينَ يطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَنْ تَطوَّعَ خيرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُـومُوا خـير لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ البقرة)

يمتنع الانسان عن حاجات الجسد الظاهر أثناء الصيام وقد يعتاد الانسان الصيام فى رمضـان ولكن فى صيام التطوع ففى قدرة الانسان أن يتخلى عن صيامه ويفطر .

فماذا يفعل الشيطان؟

يأتى الشيطان الى الانسان ويزين له طعم الاكل ويزين اليه فعل الشهوات . ويتحدث معه عن بعد المسافة بينه وبين موعد الافطار . ويصعب عليه الصبر ويذكره بالمصاعب التى سيلاقيها طوال اليوم اثناء الصيام .. .

- فاذا صدقه الانسان واتبعه تخلى عن صيامه . ولن يتركه الشيطان بعد ذلك ولكنه سيحاول جاهداً دفع هذا الانسان الى ارتكاب الذنوب والسيئات .
- واذا كان الانسان حذراً من الشيطان . رأى كيف يقوم الشيطان بتزيين الشهوات من الطعام وغيرها فى قلبه . وكيف يلح عليه وكيف يغير حالة الفكر وحواس الجسد بوسوسته . فيدرك الانسان ابعاد سلطان الشيطان عليه وعلى جسده . فاذا صبر على اغواء الشيطان واستعاذ بالله منه . تمكن الانسان من التخلص من تأثير الشيطان عليه . حتى لايبقى من سلطان الشيطان على الانسان شىء .

والشيطان لايوسوس بهذه الطريقة اثناء يوم الصيام فقط ولكن أيضاً أثناء الحياة اليومية الدائمة . فيزين للانسان ارتكاب الفواحش وما حرم عليه . ويستعجل الانسان لينتهى من أعماله بدون اتقان . ويصعب عليه الصبر على الاشياء التى يحتاج للصبر عليها .
وعندما ينتصر الانسان على الشيطان عند قيامه بالعبادات التى يتقرب بها الى الله . فان الشيطان لايستطيع أن يؤثر عليه أثناء سائر حياته وأيامه .

وللصيام منافع خفية تحدث للصائم . فان الانسان عندما يصوم فهو يعطى انتباه أكبر لقلبه ولفؤاده . فينتج عن ذلك وضوح الفكر والانتباه . والارتباط بعالم الغيب ومعرفة وفهم مايغيب عن عقل الانسان اذا كان منتبها طوال وقته لجسده وحواسه الظاهرة .

والصيام يعين المؤمن على الانتصار على أولياء الشيطان الذين يستعينون بالشيطان عليه . وغير ذلك .

الصدقة

حث الله الانسان على التصدق فى مواضع كثيرة فى القرآن وعندما يأتى الانسان ليُخرج من ماله شىء بالزكاة او الصدقة بدون ان يأخذ مقابل مادى لهذا المال من الناس . فان الشيطان يوهمه بانه انما يضيع ماله على الناس وبأنه احق به منهم ويوسوس اليه ليخيفه من الفقر .

كما قال الله (**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا أَنْفِقوا مِنْ طَيباتِ ما كسَبْتُمْ وَممَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيمَّموا الْخَبِيثَ منه تُنْفِقونَ وَلسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تغْمِضُوا فيه ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حميدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعدُكمُ الْفَقرَ وَيأْمُرُكُمْ بالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعدُكُمْ مَغْفرَةً مِنهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ البقرة**)

وهنا على الانسان ان يتزود من الثقة بالله . فيُصدق كلام الله ويكذب كلام الشيطان . ويتصدق ويتزكى كما ورد فى سورة الليل . حيث قال الله سبحانه وتعالى (**فَأَنذَرْتكُمْ نارًا تَلظىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كذَّبَ وَتولىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يتزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَما لِأَحدٍ عِندَهُ مِنْ نِعْمةٍ تُجزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِ الْأَعلىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ الليل**)

فالصدقة كما كل العبادات هى وسيلة لتزكية النفس والتخلص من سلطان الشيطان عليها . والصدقة هى وسيلة للاستزادة من التقوى وللوصول لدرجة من رضى الله عنهم ورضوا عنه وهى النعمة الكبرى .

فهذا هو تبسيط بعض العبادات . الذى يرينا كيف يتعامل الشيطان مع الانسان اثناء قيامه بالعبادات . ويؤثر الشيطان على جميع النـاس ولكن بـدرجات متفاوتـة . فقـد يكـون الانسـان بعيداً عن تأثير الشيطان . وقد يعيش فى بيئة تخلوا من أوليـاء الشـيطان ولا تأتيـه وسـاوس من الشياطين أو الانس الا بقدر بسيط . وعلى كل فالانسان عليه ان يكون حذراً .

فوائد العبادات

العبادات إذاً كما قد تبين تعين الانسان على التزود بالتقوى فيكون الانسان من المتقين .

وعندما يكون الانسان من **المتقين .** فانه يتخلص من تأثير الشيطان عليه . ويكون فى حماية من الشيطان . وكلما أقام الانسان مزيداً من العبادات . وكلما حرص على اتقان عباداتـه . كلمـا أصبح درع التقوى أو لباس التقوى الذى يرتديه سميكاً . فلا يستطيع الشيطان أن يصل اليـه . ويهديه الله الى ما عليه فعله . بان يشرح صدره للامور التى عليه ان يفعلها .

ويكتسب الانسان قوة ذاتية .

ويكون عنده موقف واضح فى الحياة . لأنه تخلص من خَبث الشيطان .

والعبادات تعين الانسان كذلك على أن يكون على يقين .

ويشعر الانسان بعد أداءها بالراحة والاطمئنان .

وكذلك فان اقامة الصلاة تعين الانسان على ان يشحذ حواس الفؤاد .

حدود أو إجراءات التقوى

كل فعل أمر الله به الانسان هو فعل لخير الانسان . وكل فعل نهى الله الانسان عنه فهو ليمنع الشر عن الانسان .

ولأن الانسان فى الظلمات فهو لا يعرف الامور التى قد تتسبب فى حدوث الشر له ولغيره . وقد عرّف الله للانسان الحدود التى منها يكون الخير اذا فعلها . ونهاه عن الامور التى منها يكون الشر اذا فعلها . فهو سبحانه بهذا منع عن الانسان شر الجهل .

ونفس الانسان فيها القدرة على فعل كل شىء . فمن الممكن ان تفعل هذه الاشياء بحسب الحدود التى شرعها الله لها ومن الممكن ان تفعلها بهوى وبدون ادراك لما قد يترتب على فعلها من الشرور التى لا يدركها الانسان ..

وكلما نقص العلم زاد اتباع الهوى فى النفس ويتحكم الهوى فى النفس الجاهلة تماماً .

والله سبحانه وتعالى أعطى للانسان جزءاً بسيطاً من العلم عن الوجود . وهو العلم الذى يجعل الانسان قادراً على اداء مهمته بنجاح كعبد لله سبحانه وتعالى فى الارض . وعلى الانسان أن يسعى للاستزادة من العلم وفق ضوابط الاصلاح وعدم الافساد فى الارض . لأنه مهما سعى الانسان للاستزادة من العلم فهو لن ينال من العلم الا ما سمح به الله له .

وما نراه بين بنى آدم اليوم فى الغرب والشرق من السعى للعلم . انما هو فى أساسه سعى فى طريق الجشع للتنافس فى ايجاد طرق جديدة لزيادة الثروات . بدون حدود الا حدود القانون الذى يطبق على بعض الناس ولا يطبق على غيرهم . والذى يميز بين الغنى وبين الفقير وهو مايزيد الغنى غناً ويزيد الفقير فقراً وهذا يحدث حتى فى العلاقات بين الدول وبين الامم .

وهم بهذا انما يسيرون فى طريق يرضاها الشيطان للانسان .

وحدود التقوى هى حدود تحمى الانسان من سيطرة الشيطان عليه .

ويحاول الشيطان أن يهيىء للانسان دائماً أن فى مخالفة أمر الله شىء من الخير . كما فعل مع آدم وزوجته عليهما السلام من قبل .

فاذا كان الانسان منتبهاً لوسوسة الشيطان ومكره وشره . فان الانسان يفعل الخير الذى أمره الله به . ويمتنع عن ما نهاه الله عنه . فيتمكن من الانتصار على الشيطان ويكون من المهتدين والمفلحين فى الحياة . ويكون من الفائزين يوم القيامة . ويكون الخزى من نصيب الشيطان وحزبه الذين لم يحافظوا على حدود الله وأوامره .

ومن حدود التقوى التى وضحها الله فى القرآن الكريم :

قال الله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل والقسط ويضع حدوداً للتقوى لتمنع عن الانسان شروراً تأتيه من عالم الغيب : **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحدَاهُمَا عَلَى الْأُخرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تبغِي حَتَّىٰ تفيءَ إِلَىٰ أَمرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّما الْمُؤْمِنونَ إِخوَةٌ فأَصْلحوا بَيْنَ أَخوَيكُمْ ۚ وَاتقوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحمونَ ﴿١٠﴾ ياأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خيرًا مِنهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يكُنَّ خيرًا مِنْهُنَّ وَلَا تلْمِزُوا أَنْفسَكُمْ وَلَا تنابزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعدَ الْإِيمانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا اجْتَنبوا كَثيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضكُمْ بَعضا ۚ أَيُحبُّ أَحدُكُمْ أَنْ يأْكلَ لَحمَ أَخِيهِ مَيْتا فكرهْتُموهُ ۚ وَاتَّقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ توَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلناكُمْ شُعُوبًا وَقبائِلَ لِتَعارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتقاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خبيرٌ ﴿١٣﴾ الحجرات) .**

فى هذه الايات من سورة الحجرات نهى الله سبحانه وتعالى عن افعال اللسان مثل الغيبة والنميمة والتنابز بالالقاب والاستهزاء بالاخرين وغير ذلك .

وعندما يدرك الانسان **وظيفة الفؤاد** جيداً . سيعرف أن كل كلمة تقال عن الانسان فى غيبته . سواء لمدحه أو لذمه والسخرية منه إنما تصل اليه وتؤثر عليه . وربما تسبب له من الشر مالا تتسبب فيه الأعمال السيئة الظاهرة . وخاصةً لو لم يكن على علم بحقيقة إتصاله وتأثره بالغيب ولم يكن منتبهاً لما يأتيه من معلومات عن طريق حواس الفؤاد .

وعندما يقوم الانسان بهذه الافعال التى نهاه الله عنها فانه بذلك يقوم بتسليط الشيطان على هؤلاء الناس الذين يغتابهم الانسان أو يذكرهم بسوء . فشيطان الجن يستمد شىء من قوته ضد الانسان من أتباعه من الانس . لأن وسوسة شياطين الجن تتداخل مع وسوسة الانس . والذين أخذوا طريق الشيطان يستمدون منه أسباب الحياة . وهم إما عن جهل أو بقصد يساعدون الشيطان فى الوسوسة .

وأفعال الشعور الغيبية مثل الحقد والحسد والجشع والطمع والكراهية والبغضاء . هى وقود هؤلاء الناس ومحركهم . ومقاييسهم هى من أجل السيطرة والأفضلية الدنيوية . لأن الشيطان قد استحوذ عليهم وامتلك قلوبهم . فهم عندما يغتابون الناس ويذكرونهم بسوء . إنما يفعلون ذلك ليتفاخروا بأفضليتهم مقارنة بغيرهم . أو حقداً عليهم وتمنى الشر لهم وكراهية الخير لهم . فهم يذكرون الاخرين بالسوء ليحفزوا أنفسهم من أجل أن يُحصّلوا زينة الحياة الدنيا . ومن أجل أن يهدموا غيرهم .

وهم بهذا يستمدون قوتهم ووقود أفعالهم من الشيطان الذى يتغذى بدوره عليهم ضد الأخرين موضع الغيبة أو السخرية . وهم اذا اكتسبوا من فعل السوء هذا ثـروة أو مناصـب أو غير ذلك فهم فى الحقيقة خاسرون . لأن الشيطان يستحوذ عليهم ويسـتخدمهم كمـا يريـد . فتكون حياتهم مليئة بالكدر والشر والشره والشقاء . وهم فى الأخرة سيدفعون الثمن للأبد .

وكما هو واضح فان حدود التقوى تمنـع عن الانسـان شـروراً من الممكن أن لايـدرك حـدوثها . فالانسان من الممكن أن يكون من جنود الشـيطان وهـو لايـدرى بـذلك . ويظن فقـط انـه انمـا يتسلى أو يتسامر مع بعض الناس . قال الله سبحانه وتعالى :

(يا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُـولِ وَتَنَـاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقوَىٰ ۖ وَاتقوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيهِ تحْشَرُونَ ۞{٩}۞ المجادلة)

ومن الممكن أن لا يصدق الانسان بهذه الامور التى تتـبين لغـيره ولا تتـبين لـه . ولكن الله قـد أخبرنا أن أيات القرآن تبين لنا ما خفى عن ادراكنا . وربما ما لم نكن لنتصـور إمكانيـة حدوثـه مالم يتبين لنا ذلك عن طريق قراءة القرآن الكريم وتدبره واتباع هديه .

ونجد ذلك واضحاً فى رد فعل الناس عندما جاءهم الرسول بالبينات فقالوا هذا **سحر مـبين** . كمـا أخـبر الله عن ذلـك فقـال سـبحانه وتعـالى **(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنـا بَيِّنـاتٍ قـالَ الَّذِينَ كفرُوا للْحَقِّ لمَّا جاءَهمْ هذَا سِحرٌ مُبِينٌ ۞{٧}۞ الاحقاف)**

وقال أيضاً عن رد فعل بنى اسرائيل بعدما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام بالبينات :

(وَإِذْ قالَ عِيسى ابْنُ مرْيَمَ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكم مُصَـدِّقًا لِما بَيْنَ يـدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمدُ ۖ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قـالُوا هـذَا سِـحْرٌ مُبِينٌ ۞{٦}۞ الصف) .

عندما كان الرسول يبين للناس حقائق تغيب عنهم ولايتخيلون حدوثها .

كانوا يقولون (**هذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**) . لأنه يبين للانسان أشياء حقيقية خفية . لأن كل انسان يظن أنه مغلق على نفسه ولا صلة له بالأخرين . ولكننا متواصلين ومتصلين بـالغيب . فعنـدما يغتاب أحدهم انسان أخر . فان هذا الفعل يؤثر على هذا الاخر تأثيراً سيئاً ويصاب بشىء من الضعف . وتتسلط عليه الشياطين لتستغل هذه الفرصة لإضلاله .

وعندما يفكر أحد الناس بالانسان بطريقة خيرة . فان حالته تتحسن ويشعر بالراحـة والثبـات بدون سبب ظاهر مالم يكن على علم وانتباه بما يصله عن طريق فؤاده . وقد يمكـر بالانسـان أحد ما فتصله معلومة أو تحذير بذلك عن طريق فؤاده . ويتلقى الانسان مانطلق عليه الالهام كذلك عن طريق فؤاده المتصل بالغيب .

وبعكس هذا النور الذى جاءنا من الله . أنتشر بين الناس الكثير من الخرافـات . مثـل وجـود (الارواح الشريرة) أو(العفاريت) التى تخرج فى الظلام أو (الانسان الملبوس بالجن) .

وكـذلك (العين) و (الامـاكن المسـكونة) . ومثـل هـذه التخـاريف الـتى يصـدقها النـاس . ويتنـاقلون حكاياتهـا (الـتى لم تحـدث لهم) وكـأنهم يتحـدثون عن حقـائق وعلـوم يقينيـة ولاشك فيها . ويستخدمونها فى إخافة الاطفال . ويلصقونها فى الدين بجهلهم .

وما انتشرت هذه الخرافات إلا بسبب غياب العلم الدينى الذى علمنا الله اياه فى القـرآن . ولم يكن هذا ليحدث لو لم يهجر المسلمون تدبر القرآن لاستمداد العلم والحكمة منه .

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مهجُورًا ۝{٣٠} الفرقان)

وكانت نتيجة هجران هذا العلم القرآنى . أن الانسان لم يعد منتبهاً للمعلومات الـتى تأتيـه من الغيب وأصبح يتأثر بسهولة بوسوسة الجن ووسوسة الانس بدون أن يشعر بهذا . ما يتسـبب بالشر والشقاق بين الناس وضياع الحقوق والاستسلام للدجالين والمخادعين .

الأمر الذى يتسبب دائماً فى رفعة شأن أهل الباطل واغتناءهم وانهزام الطيبين وأهل الخير .

لأن الخرافات والفكر الفاسد هى أرض خصبة لنمو الفاسدين وازدهارهم . وعندما ينتشر الفكر الفاسد فان حالة المجتمعات تسوء ويتحكم فى مسيرتها الهوى الذى هو قرين الضلال .
أما إذا كان الانسان على علم بالمعلومات التى تأتيه من الغيب . فانه يدرك جميع الوساوس . ويدرك عداوة الشيطان ويستعيذ بالله منه ومن شر الحاسدين والحاقدين ومن شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . ويذكر الله دائماً ويتصرف بعقل وبطمأنينة . فلا تؤثر عليه شرور شياطين الانس والجن . وساعتها لن توجد لاهل الباطل قدرات خفية عن اهل الخير . ولن يستطيعوا الانتصار فى مساعيهم للسيطرة على الثروات والنفوذ والسلطة .

ومن الخير أن يُعيذ الانسان أبناءه من الشياطين . وأن يعيذ نفسه وممتلكاته من الشياطين . كما جاء فى قول الله سبحانه وتعالى : **(إِذْ قالَتِ امرَأَتُ عِمرَانَ رَبِّ إِنِّي نذَرْتُ لَكَ ما فِي بطْنِي مُحرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّميع الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتهَا قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُها مرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بكَ وَذُرِّيّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ال عمران)**

وعن بعض حدود التقوى التى أوصى بها شعيب عليه السلام قومه . قال الله سبحانه وتعالى **(كذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فاتّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعونِ ﴿١٧٩﴾ وَما أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ مِنْ أَجرٍ ۖ إِنْ أَجرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفوا الْكَيلَ وَلَا تكُونُوا مِنَ الْمُخسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنوا بِالْقسطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تبخَسُوا النَّاسَ أَشياءهُمْ وَلَا تعْثوْا في الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتقوا الَّذِي خَلَقكُمْ وَالجبلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ الشعراء)**

وحدود التقوى فى الايات السابقة من سورة الشعراء هى للمحافظة على الحقوق المادية بين الناس . حتى لايتسلط الشيطان على المجتمع فيشك النـاس بعضـهم ببعض ولا يثـق أحـدهم بالأخر نتيجة ضياع الحقوق بينهم .

و**مثال اخر** فى أن العفو فى المعاملات الاجتماعية هو الاقرب للتقوى . حتى لا يملأ الشيطان قلوب الناس ضد بعضهم البعض . فيترتب على ذلك الشعور بالمرارة وغيرها . ومـا يتبـع ذلـك من افعال وسلوكيات مثل الغيبة والنميمة والكراهية وغير ذلك .

(وَإِنْ طَلَّقْتُموهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تمسُّوهُنَّ وَقدْ فرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضـة فنصـفُ مـا فرَضْـتُمْ إِلَّا أَنْ يَعفونَ أَوْ يَعْفوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ ۚ وَأَنْ تعْفوا أَقرَبُ لِلتَّقوَىٰ ۚ وَلَا تنسَوُا الْفَضْـلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِما تعملُونَ بصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ البقرة)

ومثال أخر على حدود التقوى . وهو ان يكون الانسان عادلاً حتى مع الاعداء المبغضين :

(يا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا كُونُوا قوَّامِينَ لِلَّهِ شُـهَدَاءَ بِالْقِسْـطِ ۖ وَلَا يجـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قـوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعدِلُوا ۚ اعدِلُوا هوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَىٰ ۖ وَاتقوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بِما تعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة)

فلا يتساهل معهم . كما لا يبغى عليهم أو يمنع عنهم حقوقهم . حتى لا يتسلط الشـيطان على المجتمع نتيجة استضعاف البعض وضياع الحقوق بين الناس .

وغايـة التقـوى هى اخلاص العمل لله . فيكـون الانسـان خالصـاً لله . لايطيـع غـيره ولا يتبـع حدوداً غير الحدود التى وضعها الله له وهو مطمئن القلب لصحة وصلاح مايقوم بـه . فيتـبرأ الانسان من الشياطين ومن أولياء الشياطين . ويتمسك بالله وحده ويتوكل عليه وينيب اليه ويتعلق به وبرضاه بعيداً عن مكاسب الدنيا وزينتها .

ولقد اعطى الله للانسان القدرة على العقل ليميز بين ما هو نافع وما هو ضار . فاذا تحرر قلب الانسان من سلطان الشيطان . كان خيار الانسان الدائم هو الالتزام بالحدود التى وضعها الله له . فيستخدم قدرته على العقل فى عمل ما ينفعه وينفع غيره ولا يضيع قدراته ووقته فيما يضره ويضر غيره من المخلوقات .

وعندما ننظر الى الحدود التى وضعها الله نظرة عقلية فهى حدودٌ موجِهةٌ لفكر الانسان ومدربة له ليتعود الميزان بالحق فى كل أمر ويتعود الاحسان والاصلاح والاتقان .

وأما من لم يلتزموا بحدود الله فهم الظالمين الذين يتحركون بضلال وعشوائية على غير هدى . وكل ما يبحثون عنه هو مايحصلون عليه فى هذه الحياة . وأفعالهم دائماً مليئة بالاهمال والافساد .

الفرق بين المتقين وغير المتقين

(وَإِمَّا ينزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخوَانُهُمْ يَمدُّونَهُمْ في الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصرونَ ﴿٢٠٢﴾ الاعراف)

المتقين كما تم توضيح ذلك يلتزمون بحدود التقوى . ويعرفون فعل الشيطان ويستعيذون منه ولا يستطيع الشيطان إضلالهم أو الاستحواذ عليهم .

واما **غير المتقين** فقد اشار الله اليهم فى الايات السابقة بقوله **(وَإِخوَانُهُمْ) .** فان الشياطين **(يَمُدُّونَهمْ في الْغَيِّ ثُمَّ لَا يقصرونَ) . أى** أن الشياطين يستدرجون غير المتقين عن طريق شغل قلوبهم بما لا فائدة فيه .

ثم يكون من السهل على الشيطان بعد ذلك إضلالهم واستخدامهم فيما يضرهم ويضر غيرهم من الناس . وهم لايستطيعون سيطرة على أنفسهم فيتمادون فى الشر بدون توقف .

وهم عندئذ طيعين للشيطان يفعل بهم ما يريد .

وقال الله سبحانه وتعالى عن الفرق بين منهج المؤمنين ومنهج الكافرين **(إِذْ جَعلَ الَّذِينَ كفرُوا في قُلُوبِهِمُ الحمية حمِيَّةَ الْجاهِلِية فأنْزَلَ اللَّهُ سَكينته عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كلمةَ التَّقوَىٰ وَكَانُوا أَحقَّ بِها وَأَهْلَها ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ الفتح)**

فالكافرين يتحركون باسباب الجاهلية والعصبية وصلات الدم .

أما المؤمنين فهم يتحركون وفق حدود التقوى التى وضعها الله للانسان .

والله سبحانه وتعالى يدعم المؤمنين ويثبتهم .

خطوات الشيطان

إن سبب تسمية (**خطوات الشيطان**) بهذ الاسم وبدون تعريفها . هـو أن خطـوات الشـيطان هى خطوات مختلفة بين إنسان وأخر . فهى ليست خطوات ذات ترتيب محدد .

قال الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبا وَلَا تَتَّبِعوا خُطوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّما يـأْمُرُكُمْ بالسُّـوءِ وَالْفَحْشَـاءِ وَأَنْ تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ ما لَا تَعْلَمونَ ﴿١٦٩﴾ البقرة**) .

وهى **خطوات .** لأن الشيطان يتـدرج بالانسـان من افسـاد اعمـال الخـير الـتى يقـوم بهـا . ثم يستدرجه الى فعل الفواحش والاثام والمنكرات . فمن الممكن ان يوسوس الشيطان للانســان ويوصيه بفعل الخير منافقاً للناس به ليأخذه من هناك الى شر كبير .

وقد يأتى الى الانسان وهو يفعل الخير خالصاً لله ويوسوس اليه بأنه إنما يفعلـه نفاقـاً . فـاذا كان الانسان منتبهاً له . سيعرف أن الشيطان يحاول أن يدخل الى عمله ليفسده . ومن الممكن ان يوسوس الشيطان للانسان بالأذى ويحط من قدره ويتطاول عليه بالسب والعـدوان حـتى يجعلـه يائسـاً ويتمكن منـه ويجعـل مصـيره الى شـر مثـل الانتحـار أو ارتكـاب الجـرائم والمحرمات . وقد يدخل الشيطان الى الانسان عن طريق مقارنة حالـه بحـال الاخـرين أو عن طريق الحقد والحسد . وقد يدخل اليه عن طريق ظن السوء بالأخرين .

وللشيطان مداخل مختلفـة ومتباينـة من انسـان لآخـر .وعنـدما ينجح فى اسـتدراج الانسـان خطوة مثل ظن السوء مثلاً . فهو يأخـذ هـذا الانسـان الى خطـوة أخـرى فيهـا شـر أكـبر مثـل الغيبة ثم الى خطوة جديدة مثل التآمر على الاخرين لافسـاد أعمـالهم . ثم الى خطـوة اخـرى فيها خطر اكبر . وهدفه الدائم هو إضلال الانسان وجعله من الكافرين والظالمين .

الشيطان عدو

أوصى الله الانسان بأن يتخذ الشيطان عدواً فقال سبحانه وتعالى : **(يـا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ وَعـدَ اللَّهِ حقٌّ ۖ فَلَا تغرَّنَّكُمُ الْحياةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغرُورُ ۞{٥}۞ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عدُوٌّ فاتَّخذُوهُ عدُوًّا ۚ إِنَّما يدْعُو حزْبهُ لِيَكُونوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞{٦}۞ فاطر) .**

وعندما يكون للانسان عدو . فانه يكون على حذر منه ويراقب الحدود بينه وبين عدوه . ويتربص به ليهزمه ويحذر غدره وشره .

وعندما يحافظ الانسان على العبادات باتقان . فانه بذلك يضع الحدود بينه وبين الشيطان . وبالتدريج يتمكن من هزيمته . وربما تمكن الشيطان منه فى لحظة من اللحظات فيستغفر الانسان ويتوب . ولا يستسلم للشيطان حتى لا يأخذه الشيطان الى خطوة أسوء من الفعل الذى اتبع فيه الشيطان . ثم يرى كيف تمكن الشيطان منه وكيف استدرجه الى فعل مخالف لما أمره الله به . حتى لايقع فى هذا الشر مرة أخرى .

وهذه العملية لاتحدث بصلابة وتشنج ولكنها تحدث بالتفهم ودوام الملاحظة والاعتراف بالشر الذى يسيطر على النفس . والسعى لتغييره بهدوء وثقة بالله عن طريق المحافظة على الصلوات والذكر والصيام والصدقة وسائر العبادات فان الاثر الاكبر للعبادات هو صلة الانسان بالله وعندما يتقرب الانسان من الله فان الله يعلمه ويطهره ويزكيه .

وتستمر الحرب بين الانسان وبين عدوه . ويأتى الشيطان فى أوقات كثيرة فيكون عاجزاً عن فتنة الانسان أو اغوائه أوتحويله عن طريق الله المستقيم . ويكون عاجزاً كذلك عن تقوية أعداء الانسان ممن يتبعون الشيطان عليه . لأن كيده كيد ضعيف فاذا أدرك الانسان هذا المكر الذى يكرره الشيطان كثيراً . فلن تكون هناك صعوبة على الانسان فى اجتناب شر الشيطان .

ولكن الشيطان لا يستسلم فهو يتربص بالانسان حتى يجد منه غفلة فاذا وجدها دخل الى الانسان . ويبصر هذا الانسان حضور الشيطان فينتبه اليه مرة أخرى . والشيطان لن يتوقف عن هذه الحرب . ولكن الانسان المؤمن المجتهد تزيد قوته من وقت لآخر بالقيام بالعبادات وبالسعى بالخير بين الناس .

وهذا هو مصدر قوة كل مؤمن بدين الله . فعلى المؤمن الاجتهاد للتزود بالتقوى والحذر من الشيطان ومن خطواته . وعليه السير فى طريق الله المستقيم الذى يحدد القرآن ملامحه بفعل ما أمر الله به واجتناب ما حرمه الله . وبأن يكون المؤمن مدركاً لفائدة مايقوم به فى حربه ضد الشيطان .

فبغير هذا لا يوجد فرق بين المجتمع المؤمن بدين الله وغيره من المجتمعات . فالحال الذى نحن عليه الأن أنه لايوجد فرق بين المؤمنين وغير المؤمنين فى العمل بالعلم الدينى . الا بعض الكلام الظاهر وبعض الشعارات وبعض الممارسات التى لا نعرف لها ثمرة فى حياتنا هذه . وبعض المعلومات المسموعة المكررة التى لا تغنى عن من يكررها شيئا .

وقد شبّه الله الذين يتكلمون بما لا يفهمون بالكافرين فى قوله تعالى : **(يا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبا وَلَا تَتَّبِعوا خُطوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عدُوٌّ مُبِينٌ ۝{١٦٨}۝ إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لَا تَعْلَمونَ ۝{١٦٩}۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بلْ نَتَّبعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيهِ آبَاءَنا ۗ أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لَا يعقلونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝{١٧٠}۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَنداءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝{١٧١}۝ البقرة)**

من وسائل الشيطان لخداع الانسان وتضليله

الاستذلال

يصور الشيطان للانسان أنه سيكون خاسراً لو لم يصدق بكلامه . فمثلاً يقول للانسان انـه اذا لم يقوم بهذا الفعل السىء سيظن الناس به انه ضعيف . أو سيظنون انه لايسـتطيع أن يحمى نفسه منهم . أو أنه سيكون خاسراً ان لم يسرق مثلاً . أو أن الشر هو الوسيلة الوحيدة لينتصر على خصومه . ومثل هذه الوساوس . فاذا صدقه الانسان .

فان الانسان من الممكن أن يندفع فى طريق الشر الذى يستفزه الشيطان اليه . واذا كان حذراً منه ومدركاً لوسوسته . فانـه يفكـر جيـداً فى فعـل مـاهو صـالح واجتنـاب مـاهو شـر ويقـوم بالاعتماد على الله والتوكل عليه والانابة اليه واستمداد القوة منه سبحانه وتعالى .
فيكون الانسان واثقاً بانه لايستطيع أحد إيذاءه إلا اذا أذن الله بهذا . ويعرف أنـه اذا حـدث . وتسبب له أحد من أولياء الشيطان بالضرر والشـر . فـان هـذا الضـرر سـيكون وسـيلته ليتعلم شىء جديد لم يكن يعلمه من قبل فى طريق الله المستقيم .

التشبه بصور الانسان ومن هم حوله

ومن حيل الشيطان أنه قد يتشبه بصورة الانسان نفسه داخل مخيلته . فيصور للانسان نفسه وهو يقول قولاً ما أو يفعل فعلاً مـا . وقـد يتشـبه بصـور أصـدقاءه أو أعـداءه . وقـد يتشـبه بصورة أحد الاصدقاء الناصـحين وكأنـه يريـد الخـير للانسـان . وهـذه خطـوات من خطواتـه ليوصل الانسان الى ما فيه الشر والخسران .

إخبار الأخرين بالأسرار

طريقته هذه تعتمد على أن يقول للانسان عندما تقابـل فلان أخـبره عن هـذا الأمـر . ويعطيـه سبب مثل . فربما تفيده مما تقول . ودائماً يجد الانسان نفسه منتظراً ليقابل فلان من الناس . لانه عندما يقابله سيقول له ما وسوس له الشيطان بقوله له .

فهو يوسوس للانسان ويحفزه ليخبر الأخرين عن أسراره . وعن عمله وعن بيتـه وعن أفكـاره وعن أعماله وغير ذلك . وكذلك يوسوس للانسان لكى يبرر أفعاله للأخـرين . وهـو فى الغـالب يسبب الضرر للانسان نتيجة تفاعل الاخرين مع ما أخبرهم به . إن لم يكن على علم بما يصـله من الغيب عن طريق فؤاده .

التخويف والاستعجال

يجد الانسان وسوسة تقول له أن عليه الانتهاء بسرعة مما يفعل . ويجد نفسه متسرعاً بدون سبب أو لسبب لا يستدعى الاستعجال . ويخوفه من عدم التعجل بالانتهاء .

وهذه أمور تتداخل فيها وسوسة الانس لبعضهم مع وسوسة الشـيطان من الجن . ومـالم يتم الانسان جميع أعماله بطمأنينة وصبر فان الشيطان يشارك فيها بنصيب من الشر .

ويقوم الشيطان بتخويف الانسان من نتائج كل فعل وكل أمـر . ويخوفـه كـذلك ممن يتبعـون الشيطان ممن أظهروا شرورهم للناس .

الشك

الانسان عليه ان يكون واثقاً فى ما يقوم به . وواثقـاً فى صـلاح مـا يقـوم بـه . لأن الشـيطان يشكك الانسان طوال الوقت فى فائدة حركته فى الحياة .

إقناع الناس بعدم وجوده

لا ينجح الشيطان فى مسعاه لاضلال الانسان . إلا اذا أقنع الانسان بأنه غير موجود . وبدلاً من أن يكون الانسان منتبهاً لحقيقة أنه يسمع صوت الشيطان عن طريق فؤاده يظن أنه يفكر فيكون من السهل على الشيطان السيطرة عليه .

وبدلاً من أن يتعامل الانسان مع الشيطان كعدو له . فانه يسمع كلامه ويصدقه ويضعه ضمن الاسباب التى يتخذ على اساسها قراراته .

فيشاركه الشيطان فى أعماله . وكيف يكتسب أمواله وكيف ينفقها . ويشاركه فى اسباب اختيار زوجته أو زوجها . ويشارك الانسان كذلك فى طريقة التعامل مع الناس . وفى تربية الابناء وتعليمهم . وغير ذلك .

اللغو والحديث التافه

يأتى الشيطان الى الانسان بمدخل عن كلام ليس له قيمة . وذلك بالحديث اليه حديثاً مطولاً وممطوطاً وفيه الكثير من المبالغات عن شىء شاهده أو قرأه من قبل . أو عن أشياء خيالية . ثم يُدخله هو نفسه فى الحكاية ويهدف الى تضليله وجعله يرتكب مالا فائدة فيه فهو بهذا يستهلك قوة الانسان وانتباهه .

أو أن يتكلم الشيطان الى الانسان عن كلام غير مترابط . فيقول كلمة عن أمر ما . ثم كلمة عن أمر أخر وهكذا . ثم يكون قادر على خداع الانسان ومراوغته واقتياده الى فعل محرم أو الى تضييع وقته فى شىء ليس له فائدة أو قيمة .

وهذا اذا كان الانسان غير حذر منه وغير ذاكر لله .

التوكل على الله

التوكل على الله هو فعل غيبى . أهميته هو أن أولياء الشياطين من الانس . قد يسببون للانسان الكثير من الضرر والشر أثناء حركة الحياة . ومن الممكن أن ينساق الانسان وراء هؤلاء ويقوم بأفعال يوسوس بها الشيطان اليه .

ويحاول الشيطان أن يجتذبه فى طريقه عن طريق الوسوسة . فيدخل هذا الانسان فى (صراع فكرى) أو غيبى مع أولياء الشيطان . ويتحول فكره الى طريق الشر .

لأن أولياء الشيطان عندما يدخلون فى خصومة مع الاخرين فانهم يستخدمون اسلوب الوسوسة . فيهددون خصومهم بالغيب عن طريق الافئدة . وتصل هذه التهديدات الى الانسان ككلام مثل وسوسة الشيطان أو على شكل ربما شعور بالخوف أو بالقلق أو الاضطراب . والمؤمن بالغيب يعرف ذلك . فهو يسمع ويشعر بما هو موجه اليه . ويستطيع أن يهددهم ويحاربهم بنفس طريقتهم .

وعندما يصبر الانسان على الاستمرار فى طريقه مكذباً ومحارباً للشيطان وأولياءه . ويسير فى طريق الله المستقيم ويتوكل على الله . فلا يتكلم داخل نفسه إلا بذكر الله والاستعاذة من الشيطان . ويهمل وسوسة شياطين الانس والجن ولا يصدقهم . ويعتمد على أن الله يُعلمه ويقويه وينصره ويؤيده . فهو بهذا يتوكل على الله سبحانه وتعالى .

كما جاء فى قول الله **(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتبَتَّلْ إِلَيهِ تبتيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغرِبِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هو فاتخِذْهُ وَكيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجرًا جميلًا ﴿١٠﴾ المزمل)**

وكما فى قوله سبحانه وتعالى (وَما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقدْ هدَانَا سُبلنا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ علَىٰ ما آذَيْتمونا ۚ وَعلى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ابراهيم)

وكما فى قوله سبحانه وتعالى (يَسْتَبشِرُونَ بِنِعْمةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بعدِ ما أَصَابَهُمُ القرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقوْا أَجرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقالُوا حَسبنا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فانْقَلَبُوا بِنِعْمةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يمسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّما ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ال عمران)

واذا اختار المؤمن أن يتعامل مع أولياء الشيطان بالشر كما يتعاملون معه بالشر . فانه بهذا يدخل الى طريق الشيطان . ويعرض نفسه للمصير الذى يريده له الشيطان . (لِلَّهِ ما في السَّمَاوَاتِ وما في الْأَرْضِ ۗ وَإِنْ تبدُوا ما في أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخفوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفرُ لِمَنْ يشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يشاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ البقرة)

والمغفرة هى جزاء خشية الله بالغيب كما قال الله سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفرَةٌ وَأَجرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ الملك)

نتائج الغفلة عن عداوة الشيطان

عنـدما يكـون الانسـان غـافلاً عن فعـل الشـيطان فى نفسـه . فـان الشـيطان يتسـلط عليـه . ويتحكم فى افعاله وفى املاكه وفى حياتـه وأبنـاءه . ويحكم الشـيطان جميـع علاقـات هـذا الانسان بالاخرين .

ويظهر هذا واضحاً فى حياة الانسـان من كـثرة المشـاكل والخلافـات والنزاعـات والفوضـى . وكثرة الاعمال السيئة المحرمة مثل الغيبة والنميمة والاسـتهزاء وظن السـوء وشـهادة الـزور والكذب والاستهتار بالدين والتكبر . واعتياده الاعمال الرديئـة الضـارة بـه وبغـيره . والتسـرع فى اداء كل شىء . والخمول وتضييع الوقت بسفاهة . وحب الدنيا وكراهية الموت . وارتكاب الاثام والفواحش ماظهر منها وما بطن . وعدم تقدير الحقوق .

والامتلاء بالضعف و الجشع و الطمع و الكبر . وتناول الخمور والمخدرات . وغير هذا من هـذه الصفات والسلوكيات المهلكة التى لايقوم بها الا الجاهلين وأهل الغفلة .

وعندما يكون المجتمع بأغلبيتـه غـافلاً عن الشـيطان . ويتصـرف النـاس فيـه وكأنـه لايوجـد شيطان . أو كأن الشيطان شىء هامشى لا وزن لفعلـه وعداوتـه . فـأن الشـيطان يحكم جميـع العلاقات فى هـذا المجتمـع . ويتسـلط عليـه وتكـون غالبيـة أفعـال هـذا المجتمـع فى طريـق التنـافس على الـدنيا . وفى طريـق الضـعف والشـر والانقسـام والـنزاع والتحـزب والكراهيـة والحقد والعداوة والخيانة والفوضى . وعندما يسيطر الشيطان على مجتمع فانـه ينشـر فيـه اسباب الخلاف والانشقاق .

ولايحدث هذا إلا بعد أن يكتم أهل العلم الدينى علمهم أو يستبدلونه بزينة الدنيا .

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمنا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ ما يأْكُلُونَ فِي بُطونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يوْمَ الْقِيَامةِ وَلَا يزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهدَىٰ وَالْعذَابَ بالْمَغْفِرَةِ فما أَصْبَرَهُمْ علَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلكَ بأَنَّ اللَّهَ نزَّلَ الْكتابَ بالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتلَفوا في الْكتابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ البقرة) .

أى أن الشقاق يحدث لأسباب بعيدة عن ما فى الكتاب الذى أنزله الله الى الناس . وهؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله يتنازعون بينهم لآسباب دنيوية خالصة . ويؤجج الشيطان الصراع بينهم . ويغفلون عن الهدى الذى جاءنا من الله وينسونه بعد ان تشغلهم صراعاتهم على الدنيا . ويستغل أولياء الشيطان ذلك ويستبدلونه بالعصبية الجاهلية .

ثم بالمناهج الدنيوية الخالصة حتى يصل الامر الى عبادة الحجارة والشجر . وهذا ما حدث فى المجتمعات الغربية .

عندما دخلت مناهج الماديين الغير مؤمنين بالغيب الى المجتمعات الغربية . اتبع الناس مناهج الماديين بعد أن أصبح الدين غير مفيد لهم فى الحياة . واكتفوا من علم الدين ببعض العادات وبعض المعلومات العامة والتى لا تفيد من يعتنقها . وحولوا الدين الى مجرد انتماء . ثم قالوا عنه ان الدين انما اخترعه الانسان فى العصور القديمة ليسيطر على باقى الناس ويخضعهم لارادته . ثم شرعوا جميع ما حرم الله بحجة التطور والحرية والعلم .

ولكن مناهج الماديين ليس فيها أجابات وافية على جميع أسئلة الانسان . وما زالت الحيرة تحتل مكاناً فى نفوسهم . لأنهم لم يخرجوا من الظلمات . ولم يعرفوا معرفة مطمئنة بخصوص مايحدث داخل ذواتهم . وما الذى يتحكم فى ظروف حياتهم حينما لا تسير وفق تخطيطاتهم .

فما وجدوا ما يسد نقصهم هذا غير الاستعانة بمن يقرأون الورق . وكذلك بأقتناء أنواع من الاحجـار المختلفـة . الـتى يـدّعون أن لهـا قـدرات خاصـة فى ذاتهـا تنفعهم فى الحمايـة من (الارواح الشريرة) وكذلك فان وجودها يجلب لهم الرزق كما يظنون .

وهناك خطوات تشارك فيها أجيال من عبدة الشيطان ليضلوا المجتمعات ويمزقوهـا ويشـغلوا الناس بالدنيا . وينسونهم الله والحساب ويوم القيامة .

ويبدأ الامر عندما يأتى الرسول برسالة من الله فيتمسـك المؤمـنين بـالحق وبـالعلم الصـحيح والمفيد . ثم يسعى أولياء الشيطان لتبديل ما أنزل الله . فان لم يستطيعوا ذلـك شـوهوا فهم الناس للدين . وهدفهم الدائم هو السيطرة على الثروة والسلطة لانهم يؤمنـون بانـه لا ينفعهم ولا يضرهم الا الثروة والسلطة كما كان يؤمن **أبو لهب .**

فقال عنه الله سبحانه وتعالى **(ما أَغْنىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝{٢}۝ المسد)**

ولكى يكون الناس فى تبعية مادية لهم يستبدلون العلم الصحيح بمنـاهج دنيويـة مخصصـة للبحث عن زينة الدنيا . ثم بعد ذلك يبدأ الناس بالتمسـك ببعض العـادات الدينيـة . وبالانتمـاء للدين الذى كان عليه الاباء والاجداد . وهنا يتحول الدين الى عصبية قبلية . ولا يغـير حقيقـة سيطرة أولياء الشيطان على الثروة والسلطة النفوذ .

ثم لا يجـد النـاس فائـدة من التمسـك بهـذه العصـبية بعـد فـترة من الـزمن نتيجـة الدعايـة المستمرة للأفكار الدنيوية عن طريـق وسـائل دعائيـة مختلفـة . وادعـاء الكـافرين (بـالتطور والعلم) واستهزاء الكافرين المستمر بالدين الذى لا ينفع أحد . وأستهزاءهم بضعف أتباعه .

ثم يمـر هـذا المجتمـع بفـترة من الارتبـاك . وتنتشـر بينهم منـاهج الـدنيا وأسـاطير كثـيرة عن الغيب . ثم يبدأون فى تفسير الأحداث (التى تحدث نتيجـة سـيطرة الشـيطان عليهم والـذى لم يعودوا يهتمون بوجوده أو يؤمنون به) بتفسيرات خرافية لا منطق ولا منفعة فيها .

ويبدأون فى البحث عن وسائل لحمايتهم من هذه الظواهر التى يسمونها الخارقة للطبيعة . ثم يقدسون نوعاً معيناً من الاحجار أو يقولون عنه انه يحمى من قوى الشر . ويشترونه ويعتنون به ويقرأون (البخت) . ويلجئون للدجالين والعرافات والمتنبئين . ثم يتمادون فى الظلمات . فيعبدون الاصنام ويعبدون النار وغير ذلك . لانهم اصبحوا يعتقدون بأن لهذه الاشياء قوة ذاتية لجلب الرزق وتسهيل حركة الحياة الدنيا .

أو يلجئون لانكار الغيب انكاراً نهائياً . ويعيشون الحياة وكأنها ليست امتداد لشىء وليس لافعالهم فيها حساب بعد الموت . وفى كلا الحالين فقد تحول كل اهتمام الانسان الى الاستزادة من زينة الدنيا حتى الموت . والتبعية المطلقة لأولياء الشيطان وأتباعهم .

ولم ينجوا دين من الاديان كما نجا الاسلام لأن الله سبحانه وتعالى قد حفظ القرآن . ولكن جنود الشيطان لايتوقفون عن المحاولة لتغيير هذا الدين والغاء وجوده . وعلى أهل العلم الدينى أن ينشروا علماً نافعا بين الناس حتى يتم إحباط كيد أولياء الشيطان من الضالين المفسدين . وحتى يسلم الناس من سيطرة الخرافات ومن سيطرة أولياء الشيطان عليهم .

طريقة عمل المنظومة المكونة لنفس الانسان

عندما يكون الانسان غافلاً عن مكونات نفسه التى تصله بـالغيب فانـه يعيش ويتصـرف على غير يقين . وعلى غير علم . وربما كتب لعمله الفلاح . وربما تسبب جهله هذا فى فشـل كبـير . وربما تسبب فى فساد كثير .

لأن الانسان وقتها سيتعامل مع مايحيط به بنسبة كبيرة من العشوائية .

وتوجد عدة نقاط هامة

- قد ينشر الانسان اسراره عن طريق فؤاده بدون أن يشعر . وذلـك بكـثرة الوسوسـة أو الحـديث الغيـبى (الفكـرى) مـع الأخـرين . وقـد يتسـبب لـه هـذا بكثـير من الاضـرار الـتى لا يستطيع معرفة مصدرها .
- عنـدما يـدخل شـىء مـا داخـل حـيز انتبـاه الانسـان عن طريـق الاذن او العين . تبـدأ وسوسة الشيطان عنه . ومن المحرم على الانسان ان يتـدخل بفكـره أو يتسـمع لمـا يـدور فى الغيب عن الامور التى لا تخصه . وعليه بالاستعاذة بالله من الشيطان .

ويقـول الله سبحانه وتعـالى عن ذلـك **(وَلَا تَقـفُ مـا لَيْسَ لَـكَ بـِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّـمْعَ وَالْبَصَـرَ وَالْفؤَادَ كلُّ أُولَٰئِكَ كانَ عنْهُ مَسْئُولًا ۝{٣٦}۝ الاسراء)**

وعندما لاينتبـه الانسـان لـذلك فانـه سيوسـوس الى الاخـرين وقـد يسـلط الشـيطان عليهم . فيغذيهم بوسوسة تزيد ما يمرون به تعقيداً وسوءاً وخطراً . وخاصـة عنـدما تحـدث احـداث صعبة وغير جيدة للاخرين وتكون داخل نطاق انتباهه .

وفى هذا الموضوع أتناول بالتوضيح كيفية حدوث عمليات العقل والشعور فى نفس الانسان . وهو تناول قائم على أساس من القرآن . ثم لملاحظة الكاتب لهذه الامور فى نفسه .

مكونات النفس كما ذكرت فى القرآن

(الادوات الظاهرة) العين ترى والاذن تسمع والجلد يشعر و غير ذلك .

(الاداة الغيبية) الفؤاد يسمع ويبصر الوسوسة والخيالات .

الصدر يحفظ (الذاكرة) وهو محل عملية (الشعور) .

(القلب) هو محل (عملية العقل) .

(الجسد) وهو اداة التنفيذ فى الارض التى هى مكان التمكين

الوسوسة

النفس تقوم بعملية الوسوسة . كما قال الله سبحانه وتعالى عن ذلك **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ونعلم ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حبل الْوَرِيدِ ۝{١٦}۝ ق)**

- وتحدث الوسوسة للانسان عند يتناوله الاخرين بالغيبة أو النميمة .
- أو عن طريق الفؤاد عندما يقصد انسان ان يوسوس لانسان أخر فى مستوى الفكر .
- ومن الممكن ان يوسوس الانسان للاخرين بدون ان يشعر بذلك .

ويتلقاها فؤاد الشخص المقصود أو أفئدة مجموعة الناس المقصودين بهذه الوسوسة .

ويحدث ذلك عندما يجمع الانسان مجموعة من الناس فى جملة واحدة فيقول **هذه عائلة طيبة** فانه بذلك يؤثر على جميع افراد هذه العائلة بالخير .

واذا كان هناك ذم لعائلة كاملة فى جملة واحدة فان هذه الوسوسة تؤثر على جميع افرادها بالشر . وهذا ان لم يكونوا على علم وحذر مما يصل اليهم عن طريق افئدتهم .

وفى هذا المعنى حديث مشهور فى صحيح مسلم :

حيث روى عن الرسول قوله **(إذا قال الرجلُ: هلك الناسُ فهو أهلكهم)** بفتح الكاف وهو بمعنى أنه يؤثر عليهم بالشر أو كأنه ارتكب إجرام فى حق هؤلاء الناس .

وعند الحسد أو تمنى زوال الخير عن الاخرين أو بمعنى أخر عندما يظن انسان انه أحق بالخير من انسان أخر كما فعل الشيطان . فان كلامه عن هذا الاخر يكون ملىء بالكراهية فتؤثر هذه الكراهية على الاخر . واذا كان هذا الاخر يعرف بما يصله من الفؤاد فسيلاحظ وسيعرف من هو عدوه فيأخذ حذره منه. أما اذا لم يكن يعرف فستؤثر عليه هذه الكراهية بالشر الذى لايدرى عن مصدره شيئاً . وربما تعامل مع من يكرهه بصداقة واسترضاء .

وعن **حديث السر** قال الله عن مصير من يظنون ان سرهم غير مسموع **(إِنَّ الْمُجرِمِينَ فِي عذَابِ جَهَنَّمَ خَالدُونَ ۝{٧٤} لَا يفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلسُونَ ۝{٧٥} وَما ظَلَمْناهُمْ وَلَٰكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝{٧٦} وَنادَوْا يا مَالكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ ۖ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ ۝{٧٧} لَقدْ جِئْناكمْ بالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثرَكمْ لِلْحقِّ كارِهُونَ ۝{٧٨} أَمْ أَبْرَموا أَمرًا فَإِنَّا مُبْرِمونَ ۝{٧٩} أَمْ يحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنجوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبونَ ۝{٨٠} الزخرف)**

فى هذه الايات اشارة مباشرة الى الشر الذى يرتكبه الانسان بسره ولايطلع عليه الا الله سبحانه وتعالى ورسله من المختصين بكتابة أعمال الانسان . ووصف هؤلاء بانهم مجرمين انما هو اشارة الى انهم يسببون شراً وضرراً وسوءاً بسبب خبث سرائرهم .

ولنفترض انه لا وجود للوسوسة .

سواء من الانس أو من الجن **كيف سيكون حال الانسان ؟** الاجابة هى

- سيكون الانسان فى حالة من السكون والسلام طوال الوقت .
- وعندما يقرر الانسان التفكر فى أمر ما فانه سيصل لنتائج محسوبة بطريقة دقيقة بحسب علمه ولن تؤثر على حساباته اية عوامل خارجية مثل الانفعال او التسرع او القلق .

- لن يتدخل فى تقرير امور لاتدخل ضمن اطار علمه أو مسئوليته .

هذه بعض النتائج الحتمية لتخلص الانسان من الوسوسة .

ولكن هل هذا ممكن؟ **لا** . لأن الوسوسة هى نتاج لقدرة الانسان على التفكير . وكذلك هذه هى طبيعة الخلق الذى خلقه الله سبحانه وتعالى وأراده .

فكل شىء يؤثر على كل شىء . وكل فعل ولو بسيط له عواقبه .

ولنتأمل قليلاً هذه الاية الكريمة حيث قال الله سبحانه وتعالى **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝{٧٢}۝ الاحزاب)**

لنفترض أن **السماوات** قبلت الامانة . واختارت ان تكون حرة فى ان تقوم بوظيفتها او أن تنحرف قليلاً عن أداء وظيفتها . هل سيستقيم الكون إذا انحرف جرم صغير فيها عن اداء وظيفته؟ لن تستقيم حركة الحياة ولن يستقيم الكون .

وكذلك فان لظلم الانسان حدود اذا تخطاها فان الله يوقفه . ولكن حتى فى حدوده هذه فان الانسان قد سبب الكثير من الفساد فى الارض . هل يؤثر هذا الفساد على الكون بصفة عامة ؟ بالتأكيد يحدث ذلك . ولذلك قال الله (**إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهولًا**) فهو **ظلوم** لايتقى ولا يلتزم بحدوده وحركته التى حددها الله له .

وكذلك فهو **جهول** ويتصرف بعشوائية ولايعرف ان تصرفه دائماً يؤثر فى كل شىء حوله وان لهذا التأثير تأثيراً على مايتخطى حدود ادراكه ومعرفته .

وهذا معناه ان الانسان عندما يقوم بفعل الخير يكون لذلك مردود جيد فى الكون . وعندما يقوم الانسان بالافساد والاهمال وتضييع الحقوق والطغيان والظلم فهو بهذا انما يتسبب بمردود سىء فى الكون فى الحدود التى شاء الله للانسان بان يكون مؤثراً فيها .

كما قال سبحانه وتعالى **(ظَهرَ الْفَسَادُ فِي الْبرِّ وَالْبَحرِ بِما كَسَبَتْ أَيدِي النَّاسِ لِيذِيقَهمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يرجِعُونَ ۝{٤١}۝ الروم)**

العقل : هو عملية يختص بها **القلب** .

اى انه لا يوجد جزء فى الانسان او مكون من مكونات نفسه يسمى العقل .

وتوجد ثلاثة مراحل لعملية العقل وهى :

المرحلة الاولى : وهو مستوى **(الذاكرة)** وهو مستمد من الامور التى يؤمن بها الانسان و المقاييس التى يميز بها بين الخير والشر والتى يميز على اساسها الافضلية .وكذلك القناعات او العقائد التى اطمئن الى صحتها الانسان وقررها كقيود يتحرك على اساسها فى حياته فى الارض . وهى من الممكن ان تتغير كلما تبين للانسان شىء لم يكن على علم به .

وهذا هو مستوى **الصدر او الذاكرة .**

المرحلة الثانية : وهى على مستوى **(الحواس)** حيث تتلقى الحواس المعلومات المختلفة سواء من الحواس الظاهرة او من الحواس الباطنة الغيبية .

المرحلة الثالثة : عندما تدخل المعلومات والبيانات المختلفة داخل الجهاز الفكرى للانسان تحدث **عملية العقل** بناءاً على الثوابت المحفوظة فى ذاكرة الانسان . حيث **يقرر الانسان** الافعال التى سيقوم بتنفيذها .

ثم تتكرر هذه المراحل حيث انه عندما يتصرف الانسان فى شىء بناءاً على الفعل الذى قرره فانه قد يتبين له خطأ اعتقاده فى أمر ما فيغير معتقده . أو يتبين له غياب شىء عن ادراكه فيضيفه الى ذاكرته ثم يستخدمه فى عملية العقل بعد ذلك .

وهذه **عملية تقييم مستمرة** أو هى **(عملية قياس وملاحظة واستنباط وتعديل)** يمر بها الانسان كلما تفاعل مع ظروف الحياة ومايواجهه فيها من ظروف مختلفة .

تسلسل عملية العقل

تتلقى الحــواس معلومــات مختلفــة . تســمع الاذن فتتلقى بعض المعلومــات . وتــرى العين مايحدث فى عالم الظاهر أو تقرأ وتتلقى كذلك بعض المعلومات اللحظية المختلفـة . ويســمع ويرى الفؤاد ما يُقصد به الانسان فى عالم الغيب مثل وسوسة الانس والجن .

وكذلك يكتسب الانسان شىء من العلم وبعض المعلومات عن طريـق الفـؤاد على قـدر صـلته بالخالق سبحانه وتعالى .

وتمـر جميــع هــذه المعلومــات الــواردة لنفس الانســان الى (القلب) . ويعــالج القلب هــذه المعلومات عن طريق (عملية العقـل) . ويتخـذ القلب مرجعيـة لـه مـاهو مخـزن فى الصـدر . مثل الحقائق التى يعرفها والمعتقدات التى يؤمن بها وكذلك الرغبات والاهداف .

وكذلك مايخزنه الانسان من العلم ومن المقاييس التى يبنى عليها حركته فى الحياة .

ويتخـذ الانسـان قراراتـه بنـاءاً على المعلومـات المتـوفرة لديـه . وعلى درجـة تنظيمـه لهـا . وبحسب معرفته وادراكه لمصدرها . ويخزن الانسان مـايطمئن اليـه القلب أو مـايقتنع بـه فى الصدر . ويستخدمه بعد ذلك كمرجعية فى عملية العقل .

وتوجد بعض العمليات لها صلة بعملية العقل منها : المراقبة و التعود

المراقبة

أهمية هذه العملية هى ان الانسان يتعرض للغزو من كثـير من الاعـداء على رأسـهم الشـيطان وأولياءه وأيضا أتباع أولياء الشيطان من الجاهلين وأهل الغفلة . كما يتعرض لكثـير من الشـر بسبب أهل الحقد والحسد .

ولذلك فعلى الانسان ان يكون يقظاً حتى لا تمتلىء نفسه بالاضطراب أو بالشر و الخوف والقناعات الزائفة التى يغذيه بها هؤلاء والتى تقيد حركته وتقيد نفسه .
وعندما يراقب الانسان نفسه أو عندما يراقب (حركة الفكر وتوابعها داخل نفسه وجسده) يرى كيف تحدث الوسوسة ويرى كذلك ماهو رد فعله الشخصى الداخلى عليها .
ويقرر ما اذا كان هذا الرد الذى تنزع اليه نفسه هو موافق لطريق الله او هو موافق لطريق الشيطان أو هو عن هوى أو تعوّد . وهذا التقرير هو من مقدمات عملية العقل فيقرر هل سيذهب فى هذا الطريق او فى غيره . ثم يختار بين اختيارين أو بين عدة خيارات .

التعود

الانسان يتعود على التصرف بطريقة معينة فى خلال مراحل حياته المختلفة تبعاً للظروف التى تعرض لها قبل ان يعرف الدين الصحيح . إن لم ينشأ على المعرفة السليمة .
والتعود يساعد الانسان على التصرف بسرعة . ولكن التسرع الدائم هو بمثابة اشارة الى ان الانسان ليست له سيطرة عقلية على ذاته . فهو يتصرف كما هو متعود بدون إعمال عقل فيما يقوم به . وهذ ناتج من نواتج الجهل بوجود الوسوسة .

وتقويم عملية التعود هذه يحتاج لوقت حتى يدخل العلم الى القلب . ويعتاد الانسان على وجود هذا النوع من العلم . ويقرر تصرفاته المستمرة بناءاً على اساس حركته الخاصة الغير خاضعة لظروف النشأة . والغير خاضعة لمخاوف وهواجس الوساوس المختلفة المسيطرة على حركة الشعور داخل نفس الانسان .

الشعور

الشعور هو حالة طارئة تحدث للانسان نتيجة تعرضه لحدث ما .

عندما يتعرض الانسان لموقف معين فى عالم الظاهر . فترى العين شيئاً أو تسمع الاذن كلاماً . ويتلقى الفؤاد معلومات من عالم الغيب بخصوص ما يتعرض له الانسان فى عالم الظاهر . مع وجود مقاييس فى الذاكرة بخصوص هذه المعلومات التى تلقتها الحواس المختلفة للانسان . ينشأ الشعور نتيجة لذلك . وهذه أمور تحدث بسرعة كبيرة .

وكذلك من الممكن ان ينشأ الشعور نتيجة ما يتلقاه الفؤاد وحده من معلومات .

فيجد الانسان ان هناك شعور معين قد نشأ فجأة وربما لايعرف سبباً لذلك . ومعلومات الفؤاد هذه من الممكن ان تكون تخيلات من وساوس الانس أو الجن .

وهذا فى الحالتين سواء كان الانسان على معرفة بالمعلومات التى تأتيه عن طريق فؤاده . أو حتى لو لم يكن على انتباه لهذه المعلومات .

فيجد الانسان الانشراح والابتهاج أو الضيق والحزن والانقباض أو الغضب أو الاستعجال أو الرهبة والندم والخوف وغير ذلك مما يشعر به الانسان عند وجود سبب فى الصدور ينشأ بسببه هذا الشعور .

ومثالاً لذلك عندما يسمع الانسان بعض الكلمات من أحد الناس الذين (يعرف عنهم) أنه من أعدائه وذلك طبقاً لبعض (المقاييس المخزنة فى صدره) عن علامات الاعداء وصفاتهم . أو أن هناك أفعال سابقة تدل على ذلك . وهى محفوظة كذلك فى الصدر . فيتلقى الانسان هذه الكلمة بأن لها مدلول سىء . ويظن أن قائلها انما أراد به شراً عندما قالها .

ويتلقى عنها معلومات بفؤاده من وسوسة الشياطين أو وسوسة الانس الذين سمعوا هذا الكلام . وأيضاً وسوسة الانس الذين لم يسمعوا مباشرة ولكنهم على صلة بهذا الانسان وعندهم موقف معين بخصوص هذا الانسان عندما يتعرض لموقف مشابه لما يتعرض له فى هذه اللحظة . ونتيجة لذلك فربما يشعر هذا الانسان فى هذه اللحظة بالغضب أو بالخوف أو غير ذلك . ثم يتصرف نتيجة شعوره هذا بطريقة معينة أو بفعل ظاهر فى الارض .

وهذا اذا لم يكن فى حالة سيطرة تامة على نفسه . وهذه السيطرة يكتسبها الانسان فى العبادات وكذلك فى كل لحظة من حياته بين العبادات .
والانفعال هو فى الغالب نتيجة للغفلة عن الشيطان وعدم الحذر منه لفترة طويلة .

وفى أية تسجيل وكتابة الدين يقول الله سبحانه وتعالى

(وَاتَّقوا اللَّهَ ۖ وَيُعلمُكمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ علِيمٌ ۝{٢٨٢} البقرة)

وقد سقت هذ الجزء من الاية هنا لأن الانسان عندما يكون على حذر من الشيطان وفى حرص دائم على البقاء طائعا لله . سيعلمه الله كيف يصلح من نفسه ومن شئونه .
وسيبين له الله سبحانه وتعالى حاجته لإصلاح بعض الامور فى جوانب مختلفة من حياته .
ويعلمه الله كيف يتعامل معها بنفسه دون الحاجة الى الاعتماد على غيره من الناس .
فيكون الانسان معتمداً بطريقة كاملة على الله سبحانه وتعالى ومتوكلاً عليه .
وتنتفى عنه الغفلة ولن يكون فى استطاعة اهل الجهل او الشر تسبيب الضرر له بعد ذلك .

نتائج الايمان والتكذيب

النفس تحتوى على كامل تكوين الانسان **فان ءامنت وفهمت واجتهدت فى العمل بالهدى الموجود فى القرآن** . فانها تكتسب القوة ويحدث داخلها الاطمئنان وتوحيد الاتجاه بين جميع مكونات هذه النفس الظاهرة منها والغيبية .

فتعمل هذه النفس بطريقة متناسقة ومنظمة ولا تقاوم بعضها بعضاً . وينتج عن ذلك عدم حدوث صراع أو ارتباك داخل هذه النفس . ويظهر ذلك على حياة الانسان بالقوة والسلام والرضى والاطمئنان .

وان كفرت هذه النفس أو كذبت أو أشركت فهذا دليل بانها لم تفهم أو انها تكبرت . أو أن رغباتها رغبات شريرة وخبيثة . أو أن زينة الدنيا هى هم هذه النفس ومطلبها . ولذلك فهى تضحى بكل شىء فى سبيل هذه الزينة . ولأن حركتها هى حركة قائمة على اساس دنيوى .

فان أول ما تفكر فيه هو افتراض الشر بالاخرين . وذلك لان مقاييسها مشوهة . ومحتويات الصدر فى هذه النفس هى بعض الخرافات و بعض الشرور والخبث الشيطانى . وستفهم هذه النفس كل عمل يقوم به الاخرين كمطلب للدنيا كما تطلب هى الدنيا .

فهى لن تتقبل الكلام الطيب أو الفعل الطيب بمعنى طيب ولكنها ستفهمه بمعنى خبيث . وهذه هى النفس ذات القلب المريض . فهى لاتفعل الخير من اجل الخير لأن انتباهها غير موجه للخير . ولكنها إن فعلته فانها تفعله لتكتسب به زينة من زينة الدنيا .

وهذه النفس لن تعمل بطريقة سليمة وصحيحة ولن تتجه للخير . ويحدث نتيجة لذلك الكثير من الهموم والصراعات داخل النفس وخارجها . ويحدث الضلال وعشوائية اتخاذ القرار وعشوائية الحركة . ويظهر ذلك على الجسد بالتصرف السىء وظهور الامراض الجسدية والطمع والانغماس فى شهوات الجسد . وهذا ناتج لاتباع الشيطان .

الفصل الثالث

منهج الكافرين

الشيطان كما نعرف يوسوس لجميع الناس ولكن الكافرين من الناس أنكروا وجود الشيطان .

فكيف يفسرون وسوسة الشيطان؟ وقبل أن نرى كيف تعاملوا مع هذه الوسوسة .

لنرى كيف وصف القرآن الكريم منهج الكافرين .

يقول الله سبحانه وتعالى **(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْموْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكادُ الْبَرْقُ يخطفُ أَبصَارَهُمْ ۖ كُلَّما أَضَاءَ لَهُمْ مشوْا فيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ البقرة) .**

قال الله عنهم انهم **(يضعون اصابعهم فى اذانهم)** حذراً من الموت بسبب الصواعق .

والتصرف العاقل والطبيعى لمن يعرف خطورة الصاعقة .

ان الخائف من شرها **(يختبىء منها ولا يمشى اثنا حدوثها)** . وهم لا يمشون الا وقت أن تضرب الصاعقة التى من الممكن أن تميتهم بما يظنونه خير وهو فى حقيقته شر .

ما يعنى ان الكافرين بسبب انكارهم لرسالات الله واخرها القرآن . ونتيجة لعدم ايمانهم بالغيب . لا يستطيعون معرفة الاسباب الغيبية الحقيقية للمشاكل التى تواجههم . والموصوفة فى رسالة الخالق سبحانه وتعالى الى بنى آدم .

فهم يرون ظواهر المشكلات ويفسرونها بطريقة خاطئة . فيعالجون ظواهر هذه المشكلات باساليب لا تنفعهم ولاتغنى عنهم شيئاً .

ولنرى كيف تعاملوا مع نفس الانسان ووسوسة الشيطان والمشاكل التى يسببها للانسان :

هم بصفة عامة قالوا ان كل شىء خاضع للقياس . بما فى ذلك (نفس الانسان) . التى أصـبح من الطبيعى بالنسبة لهم أحتوائها على معاناة دائمة و (أمراض نفسية) .

وعنـدهم قاعـدة تقـول ان الانسـان يولـد وعنـده مـرض يسـمى بحسـب الترجمـة العربيـة (العصابى) وهو تعدد الشخصيات . نظراً لوجود كل هذه الوساوس التى تصب فى فكره .

فأخترعوا علم النفس . وحاولوا وضع اسس فيـه بنـاءاً على ظن أو (نظريـة) تطـور الانسـان من كائن غير عاقل مثل القرد نبت له عقل بالمصادفة والتحور .

ومنهجهم قائم على أنه لايوجد شىء غير ما تدركه حواس الانسان الظاهرة . ولهـذا لابـد من أن يضعوا ايديهم على السبب الظاهر .

لأنه كما يؤمنون هم . لاتوجد أسباب غير الاسباب الظاهرة .

وقالوا بأن (المخ) هو محل العقل والشعور ويحتوى أيضاً على الذاكرة . فوضعوا ايديهم كما يظنون على أسباب جميع (الامراض النفسية المفترضة) .

وعملوا بالقيـاس والملاحظـة والتجـريب وأفـتراض النظريـات واخـتراع الادويـة والعقـاقير .

والتجريب على الانسان كان اهم وسائلهم لوضع اسس لتفسيراتهم وظنونهم . وجربـوا كـذلك على الحيوان باعتبـار ان الانسـان كـان حيـوان غـير عاقـل فى الاسـاس . وتكـونت لـدى ذلـك قواعد البيانات الخاصة بما يطلق عليه علم النفس .

ويقولون عن الدين أن (الانسان البدائى) لم يكن يفكر فى البدايـة . وأنـه فى اللحظـة الـتى بدأ فيها **(بالتفكير)** . ظن ان هناك احداً لايراه يكلمـه . وظن كمـا يقولـون أن خالقـه يكلمـه . وقام هذا (الانسان البدائى) بأختراع الدين بناءاً على هذا الوهم كما يقولون .

فأول الامر عندهم أن الدين هو وهم من اوهام الانسان البدائى . فلا وجود لخالق كما يقولون ولا وجود لشيطان . ولا وجود لشىء الا ما تبصره أعين الانسان وتدركه حواسه الظاهرة .

وبعد عدة عقود من محاولة فهم نفس الانسان أخترعوا (علماً) جديداً . قاموا فيه بدراسة تجارب الناجحين والاصحاء والاغنياء من الناس . واخترعه أغنياء (ألولايات المتحدة الامريكية) . ودخل الى مجتمعاتنا بأسم (التنمية البشرية) .

ولأن مجرد دراسة تجارب الناجحين فى هذه الحياة لايجيب على أسئلة الانسان عن مصدر الوجود . فقد خلطوا هذا العلم الجديد مع أديان الهند القديمة . وحور بعضهم المسيحية لتتناسب مع هذا الدين الجديد . ولديهم مناهج متعددة ومتناقضة فى كثير من التفسيرات والظنون . وهناك عدة اشياء اجتمعوا عليها

منها أنهم يقولون بتقسيم تكوين الانسان الى :

(جسد) و (عقل واعى) و (عقل لاواعى أو عقل باطن) .

فالعقل الواعى : هو ما يفكر به الانسان ويتخذ به القرارات .

والعقل الباطن : هو الذى يسوق حركة الانسان اللاارادية ولا يستطيع التحكم بمحتوياته الا بعد أن يتطور كما يقولون . هذا العقل الباطن هو سبب جميع الوساوس والامراض النفسية كما يصفونها .

الأفتراضات التى أفترضت لتدعيم صحة فرضية وجود العقل الباطن .

- يتصورون أن هذا العقل اللاواعى قد تكوّن نتيجـة أن الانسـان يعيش بحسـب نظريـة التطـور منـذ أزمـان بعيـدة . وكـان كمـا يقولـون فى البدايـة تحركـه غرائـزه بحثـاً عن الطعـام والمأوى . وكان وهو (كائن بدائى) يخزن تجاربـه الـتى يمـر بهـا فى هـذا (العقـل اللاواعى) الذى هو (عقل بدائى) .

ويحددون لهذا (العقل البـدائى) موقـع فى المخ يطلقـون عليـه (مخ الزواحـف) . وهـو كمـا يقولون مخزن كبير للمعلومات . ويحتوى على كميات ضخمة من المعلومـات والبيانـات الـتى تتحكم فى حياة الانسان فى كل لحظة . ويتحكم كذلك فى ردود فعل الانسان . وفى طريقـة حركته بصفة عامة . وليس للانسان سيطرة عليه .

وكـل هـذه الافتراضـات الـتى لا دليـل عليهـا إلا أقـوال وتصـورات بعض (العلمـاء) نتيجـة مراقبتهم للمخ أثناء تصرفات الانسـان الظـاهرة . وأثنـاء نشـاطاته المختلفـة فى الحيـاة مثـل التعلم وغيرها . تحولت الى ما يشبه اليقين بمرور الزمن . نظراً لإيمان أجيال متعددة بها .

- يكفرون بالأخرة وبحساب يوم القيامة . والحساب عنـدهم يسـمى بالكارمـا . ويحصـل الانسان على جزاءه فى حياته على الارض فى حيوات متتالية . فاذا كان عمله جيداً جاء الى الحياة بعد الموت فى مكان جيد وكان غنياً وله مكانة اجتماعية جيدة . واذا كان عملـه سـيئاً فهـو يـأتى الى الحيـاة ربمـا فى صـورة حشـرة أو حجـر أو حيـوان . أو ربمـا جـاء فى عائلـة متواضعة أو جاء فقيراً ومحتاجاً . فهذا هو حساب عمله السىء فى حيواته السابقة .

ويكون عليه أن يتحمل الكثير من المعاناة نتيجة امتلاء عقله البـاطن بالشـر الـذى ارتكبـه فى تجاربه فى حيواته السابقة .

- ويقولون بأن الكون خلق نفسه بنفسه .

مثلما قال الله سبحانه وتعالى عن هذا **(الْحمد لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السمَاوَات وَالْأَرْضَ وَجعلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كفرُوا بِرَبِّهِمْ يَعدِلُونَ ﴿١﴾ الانعام)** . فهم يقولون بأن الكون هو الاله وهم بهذا يعدلون أو يساوون بين الله وبين الكون . وعندما يطلبون حاجة فانهم يطلبون العطاء من الكون .

- ومسألة التمكين فى الارض ليست مسألة محل خلاف او تساؤل اذ انهم يظنون ان الانسان قد اكتسب هذا التمكين نتيجة ان له مخ متطور .

فهذه بعض أقول المشركين والضالين والكافرين . وهذا عندهم هو المنطق المساعد الذى يبنون عليه صحة نظرية وجود هذا العقل الباطن . وهناك أقوال مختلفة عن هذا فهم لم يتفقوا على ماهية العقل الواعى أو العقل الباطن أو الوعى نفسه .

فماهو علاج مشكلة العقل الباطن الذى أفترضوا وجوده

عندما اخترعوا اسطورة (العقل الباطن) هذه قالوا بأن هذا العقل الباطن هو مخزن كبير للذاكرة . وهو سبب كل المشكلات و(الامراض النفسية) التى يعانى منها الانسان المتطور . وهذا العقل الباطن يقوم (بتكرار الافكار) المخزنة فيه بطريقة ألية طوال الوقت . وهى نوعين (أفكار ايجابية) و (أفكار سلبية) .

أى أنهم بطريقة عملية أستبدلوا وسوسة (الشيطان) بوسوسة (العقل الباطن) .

ولكنهم يريدون منه أن يوسوس لهم عن (الأفكار الايجابية)

ويمتنع عن الوسوسة (بالافكار السلبية) . لأنهم وجدوا ان معظم (الافكار التى تصدر عن هذا العقل الباطن) مؤذية ومضرة وتزيد من (المعاناة النفسية لمعظم الناس) .

وأخترعوا عدة طرق لمعالجة هذا (السبب الوهمى) لمشاكل الانسان (النفسية) ومنها :

- **(التوكيدات)** . وهى طريقة تعتمد على أن يكرر الانسان طوال الـوقت بعض العبـارات التى تحمل معنى (ايجابى) عن الثروة والقوة . وتكـون متعارضـة مـع مـا سـموها (بالافكـار السلبية) . واطلقوا عليها اسـم (التوكيـدات الايجابيـة) ليسـتزيدوا من الـثروات والشـهوات ومن (الافكار الايجابية) ومن زينة الحياة الدنيا .
- **(إهمـال أفكـار العقـل البـاطن)** . وهى طريقـة تعتمـد على (مراقبـة واهمـال الافكـار السلبية بدون التفاعل معهـا) حـتى ينتهى هـذا السـيل من الافكـار . ويصـل الانسـان للصـفاء الذهنى بعد ذلك . باعتبار أن مصدر هذه (الافكار السلبية) هو العقل الباطن الـذى هـو (جـزء من تكـوين الانسـان) . ولابـد أن يتحمـل الانسـان مسـئولية هـذه الافكـار . لآنـه كمـا يقولـون مسئول عن تخزينها خلال حيواته المتعددة منذ ان كان انساناً بدائياً .

وهدف عملية المراقبـة هـذه كمـا يقولـون هـو أن يصـل الانسـان (للاسـتنارة) وقـد تسـتغرق (عملية المراقبة) هذه وقت طويل فربما يصل الانسان للاستنارة بعد عدة حيـوات متتاليـة . ما يعنى بان الانسان يموت ثم يحيا فى شكل جديد ويعمل على مراقبـة أفكـار عقلـه البـاطن هذا . ثم يموت .. وهكذا . حتى ربما الاف الاعمار والحيوات كما يقولون .

وعندما يصل الانسان لحالة الاستنارة هذه فلن يكون لهذا العقل الباطن سـلطة عليـه . أى أنـه لن يقيد حركة الانسان بمحتواه كما يقولون . ويتحدثون عن حالـة الاسـتنارة هـذه بكثـير من الغموض بأعتبار أنها تتخطى مفاهيم العقل .

وبعد أن يصل الانسان الى الاستنارة لن يعود الى دورة الحياة والمعاناة والموت كما يقولون ولكنه سيتطور فى ابعاد أخرى .

ومعظم هذه الافكار الغريبة والتى لا اثبات لها . والتى تخالف القرآن أصبحت منتشرة بين العرب . ويظنون أن هذه النظريات لاتتعارض مع الاسلام . وهذا راجع لآن معظم المدربين العرب ينشرون مثل هذه الافكار . ثم يُلبسونها ثوباً قرآنياً . عن طريق تطعيمها ببعض الآيات . أى أنهم يجعلونها مرجعية للقرآن فيفسرون القرآن على أساسها .

وسبب ذكرى لهذه الامور هنا هو زيادة انتشارها بيننا . بسبب سهولة انتشار المعلومات فى ايامنا هذه . وأن انتشار هذه الافكار المتعارضة مع الاسلام . مع ايمان الناس وأقتناعهم بها وخاصة الشباب الذين يبحثون عن العلم . يجعل الانسان المؤمن بالاسلام والذى يقرأ القرآن . مؤمن كذلك بافكار متعارضة مع أفكار الاسلام بدون أن يدرى .

مما يسبب الارتباك والحياة الغير سوية .

وسبب انتشار هذه المعتقدات بين الناس فى المجتمع الاسلامى هو : وجود فراغ فكرى فى هذه الموضوعات المهمة التى تمس حياة الانسان . فجماعات (الدعوة الدينية) انشغلت عن الغيب بالمظاهر .

وظنت هذه الجماعات أن (مقياس صحة الدين) هو فى الالتزام الظاهر بالتصرفات وبالمظهر الذى كان يظهر عليه الرسول بدون سبب خارج عن اطار حواس الانسان الظاهرة .

مع ان الله قد حدد مقياس الافضلية بالتقوى فقال سبحانه وتعالى **(يا أَيُّها النَّاسُ إِنا خَلَقْناكم مِنْ ذَكرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعلناكم شعُوبا وَقَبَائلَ لِتَعارَفُوا ۚ إِنَّ أَكرمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتقاكمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبيرٌ ۞{١٣}۞ الحجرات)**

وبسبب هذا الفراغ الذى نشأ بسبب أهمال مايتعرض له الانسان من الوسوسة الدائمة والتى لا يستطيع ان ينكر وجودها أحد . تسربت هذه الافكار المضادة لما فى القرآن الى قلب المجتمع الاسلامى وسكنت فيه .

ولا يحق لنا أن نلقى باللوم على الهنود أو على غيرهم عندما نجدهم ينشرون دينهم الذى يظنون أنه دين صحيح . وانما علينا أن نلقى بالمسئولية على أنفسنا .

كما أن للشيطان أولياء وهم أعداء لدين الله سبحانه وتعالى . وقد وجدوا هذا الفراغ فرصة لتدمير الفكر الاسلامى . وربما شاركوا فى صنع هذا الفراغ عبر مئات السنين . وذلك بتوجيه الانتباه الى قضايا غير هامة ثم العمل بطريقة غير مباشرة على استبدال الفكر الدينى الصحيح بأفكار جديدة لا أساس لها فى دين الله . ويتعامل معها بعض الجاهلين من المسلمين وغير المسلمين على أنها حقائق .

مثلما بات يحدث الان بأقتناع بعض الناس بوجود مايسمى بالافكار السلبية و العقل الباطن فهم مؤمنون بأفكار مضادة لدين الله .

لأن هذه الافكار والمناهج ألغت حقيقة عداوة الشيطان للأنسان . فبطريقة عملية يصبح الانسان تابعاً للشيطان بدون أن يشعر .

وغيروا اسم (الوسوسة) واستبدلوه باسم اخر وهو (الافكار) حتى يكون مستحسناً ويظن الانسان فى هذه الوسوسة خيراً بدلاً من ان يتعامل معها بحرص وحذر .

معظم الافكار التى ذُكرت فى هذا الموضوع والمتعارضة مع ما فى القرآن

موجودة فى كتاب (the book of secrets) **لأوشو الهندى** .

الفرق بين دين الله والدين الذى يزيفه الانسان

الفرق هو أن الانسان اذا اتبع دين الله الذى هو علم مبين . خرج من الظلمات الى النور . وعرف من اين يأتيه الشر ومن اين يأتيه الخير . وعاش حياته مطمئناً بأنه على الحق المبين فكان متبعاً للحق وحذراً من الباطل .

وكان عنده أختيار واضح بين الطريق الذى ارشده الله اليه وطريق الشر الذى يريد الشيطان ان يدخله اليه . قال الله سبحانه وتعالى **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنوا يخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كفرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يخْرِجونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيها خَالِدُونَ ۝{٢٥٧} البقرة)**

وأما عن الدين الذى يزيفه الانسان فهو ظلمات بعضها فوق بعض . لايدرى الانسان فيها شىء إلا ما يخبره به انسان أخر . يدعى أنه يعلم وهو فى الحقيقة يستغل جهل الجاهلين ليتكسب منهم . وربما كان يعلم ولكن همه الاول هو الفوز فى الدنيا . وربما كان من الجاهلين . فيعيش هؤلاء الجاهلون فى تبعية كاملة لانسان أخر مضل وكاذب .

ويحدث هذا فى كثير من التجمعات الانسانية المختلفة .

ففى (الجماعات التى (توصف) بالاسلامية) على سبيل المثال . يدخل التابع الى الجماعة واثقاً بمن فيها ويظنهم على علم . مبهوراً بتضحياتهم فى سبيل الله كما يقولون وكما يسوقون لانفسهم . واثقاً فيهم طامعاً فى التشبه بهم . فهو انسان جاهل فى الظلمات . يظن أنه وجد النور والعلم عند هؤلاء الناس الذين يسوقون لانفسهم على انهم اتباع لدين الله وأن غيرهم ضالون يحاربون دين الله .

وهو بالتأكيد لن يصدق دعاية هؤلاء الناس الا اذا كان عنده مقاييس اكتسبها من رحلته فى الحياة . سواء من ظروف حياته أو مما يراه حوله .

وهـذه المقـاييس جعلتـه يطمئن بقلبـه لدعايـة قـادة هـذه الجماعـات ويظن أنهم على حـق . فيستغل هؤلاء الضالين جهل هذا الانسان وحاجتـه ليحققـوا من خلال اسـتخدامه أغراضـهم وأطماعهم وربما كان القادة انفسهم من الجاهلين .

ومثل هذا ضلال من اخترعوا اساليب **(التنمية البشـرية)** من الجـاهلين . فالاتبـاع ينبهـرون بالمدربين ويرون فيهم مايشبه مجددين الدين أو أئمة هذا العصر . ويتبعـونهم فى كـل شـىء ويـدافعون عنهم ولا يقتنعـون إلا بـأرائهم . وهـؤلاء المـدربين يسـتخدمون أسـاليب تسـويق لأنفسهم تعتمد على الابهـار واثـارة الاعجـاب بهم وبعلـومهم المزعومـة فى نفـوس الجـاهلين الباحثين عن العلم .

ويبشـرون بـالغنى والـثروة وينشـرون بعض الممارسـات لتعين النـاس على تخطى مشـاكل (العقل الباطن) (الغير موجود) . وهذا كذب وجهل واضح .

وهؤلاء التابعون هم بعض الناس الجاهلين الذين هم فى الظلمات ويبحثـون عن مصـدر للعلم والنور . فيتبعون هؤلاء المـدربين وهم يظنـون بهم خـيراً . وهم لا يـدركون أنهم فى الحقيقـة يتبعون بعض الجاهلين الذين يكتسبون بجهل الناس . وربمـا يظن هـؤلاء المـدربين أنهم على حق ولا يدركون هم أيضاً أنهم فى ظلمات بعضها فوق بعض .

وتستمد (التنمية البشرية) مادتها من الاديان التجريبية مثل الهندوسية والبوذيـة وهم مثـل المـاديين ولكنهم توارثـوا مفـاهيم فاسـدة عن الغيب . ولا يوجـد عنـدهم العلم الموجـود فى القرآن الذى هو رسالة الله الخالق العليم رب العالمين سبحانه وتعالى .

بعض الإشارات

تعريف الأسلام

(شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هـوَ وَالْمَلَائِكـةُ وَأُولُـو الْعِلْمِ قَائِمـا بِالْقِسْـطِ ۚ لَا إِلَـهَ إِلَّا هـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ ۝﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسلَامُ ۗ وَمـا اخْتلـفَ الَّذِينَ أُوتـوا الْكتـابَ إِلَّا مِنْ بَعـدِ مـا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝﴿١٩﴾ فـإِنْ حـاجُّوكَ فَقـلْ أَسْـلمتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقـلْ لِلَّذِينَ أُوتـوا الْكِتـابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسـلمْتُمْ ۚ فـإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهتدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بصِيرٌ بالْعِبَادِ ۝﴿٢٠﴾ آل عمران)

نجد فى هذه الايات الكريمة تعريف واضح للاسلام : وهـو **إسـلام الوجـه لله** . مـا يعـنى بـأن يكون الله سبحانه وتعـالى هـو قبلـة الانسـان . وأن يتجـه الانسـان الى الله فيكـون كـل عمـل غيبى أو ظاهر يقوم به الانسان أبتغاء رضاء الله ووفق أوامر الله .

تعريف الشرك

يقـول الله سـبحانه وتعـالى : **(اتَّبِـعْ مـا أُوحيَ إِلَيـكَ مِنْ رَبـكَ لَا إِلَـهَ إِلَّا هـوَ وَأَعـرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {١٠٦} الانعام)** . أى أن المشركين يتبعون مـع مـا أنـزل الله منـاهج أخـرى ليسـت مما أنزل الله . أو يفترون على الله الكذب فيقولون عن الله مالا يعلمون وينشرونه بين الناس على أنـه من عنـد الله . أو يسـتبدلون مـا أوحى الله بـه الى رسـوله بمنـاهج أخـرى يتبعونهـا . فيتبعون بشراً أخرين ويتخذونهم لهم سادة أو زعماء أو مرشدين أو أولياء أو كبراء .

فمن يتبـع أى تشـريع ديـنى غيـبى (أى فيـه افتراضـات وظنـون ونظريـات وليسـت حقـائق ظاهرة) مختلف عن الكتاب الذى ارسله الله الى الناس من خلال الرسل الذين اختـارهم الله لأداء هذه المهمة فهو من المشركين .

بين اكتمال الدين و تجدد اللغة

عندما بدأت فى كتابة هذا الكتاب واجهتنى عدة مصاعب لغوية .

ولـذلك أرى أن اللغـة هى ضـالة المجـددين . والهـدف من تجديـد لغـة الخطـاب . هـو أن يفهم الانسان المعاصر **الدين** كما كان يفهمه الانسان العربى فى زمن نـزول الـوحى . والمقصـد هنـا هو أن الدين تام كما أخبرنا الله بهـذا ولا يحتـاج لتجديـد . ولكن تفهم النـاس للغـة يتغـير مـع مرور الزمن . فالحاجة للتجديد هى الحاجة لشرح الدين بلغة يفهمها الانسان المعاصر .

لأن اسـتخدام النـاس للغـة يتغير باسـتمرار . فتـدخل مصـطلحات جديـدة ويتناسـى النـاس مصطلحات أخرى لم تعد تستخدم . وتتغير معانى بعض المصطلحات الأخرى .

ولكى نحـدد معـانى هـذه المصـطلحات وارتباطهـا (بتجربـة الانسـان) المعاصـر . فنحن فى حاجة الى تعاون علماء الدين واللغة مع خبراء التراث والأدب فى كافة البلـدان الـتى تتحـدث اللغة العربية . حتى يتم تجديد هذه المصطلحات التى تدخل فى الخطـاب الـذى يعلم النـاس الدين الذى أنزله الله على الرسول عليه الصلاة والسلام .

ونحن نعرف أن لغة القرآن الكريم لغـة مختلفـة عن لغـة النـاس . لآن القـرآن هـو كلام الله رب العالمين فهو يعيش للأبد ويظل محتفظاً برونقه ونظامه وكماله .

أما لغة الناس فمختلفة ولست أقصد هنا لغة القواعد والنحو . وأنما لغة الانسان التى يتعامـل بها فى حياته اليومية . ونحن نلاحظ تغير اللغة من جيل لجيل . فالجيل القديم يستغرب لغة الجيل الناشىء . وهذه عمليـة لاتتوقـف . ولا يلقى لهـا النـاس الغـير عـاملين فى مجـال اللغـة والادب بالاً الا للتندر والاستهزاء بمفرداتها .

وأضرب مثالاً لكتاب قديم مثل كتاب منازل السائرين للهروى . فلست أشك فى أن لغته كانت لغة تقليدية فى زمن وجوده فى الحياة وفى المكان الذى كان يعيش فيه . مثلما أن اللغة التى نتكلم بها الان . كلُ فى مكانه . هى لغة تقليدية لنا .

ونحن الان لا نستطيع أن نفهم بالضبط ما كان يقصد بسهولة . وإنما علينا مراجعة المعاجم . ولو عمل أحد الدارسين على تحقيق هذا الكتاب . فعليه مراجعة كل لفظ فيه تقريبا وما كان المقصد منه فى العصر والمكان الذى كُتب فيه هذا الكتاب . ولابد كذلك أن يكون هذا الدارس قد وصل الى فهم ما وصل الى فهمه الامام الهروى .

ولست أظن أن انجاز هذا العمل امر سهل .

ومن أهم وظائف الجامعات والمعاهد اللغوية والدينية أن تحافظ على تدفق الافهام بين الناس . وليس على مجرد تدفق التراث الادبى أو الدينى . فمن الممكن أن يتدفق هذا التراث الادبى والدينى ونحافظ عليه . ولكن لانفهم منه شىء .

فعلى رجال اللغة والادب والدين المحافظة على تدفق الفهم . وتطور الفكر . وعدم الانغلاق الفكرى فى المجتمع . وما يتبعه من تركيز الأنتباه على المظاهر . وما يتبع ذلك من الحكم على الناس من مظاهرهم . وتدخل بعض الناس فى شئون الاخرين بطريقة ليست مقبولة . ويترتب عليه كذلك اهمال العلم الدينى الذى علمنا الله سبحانه وتعالى اياه .

وتوجد فائدة هامة فى قول الله سبحانه وتعالى **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قرآنا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصّلَتْ آياته ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وقر وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝{٤٤} فصلت)**

(**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ**) هذا السؤال هو **سؤال استنكارى** لأن اللغة ليست هى المقصودة . وانما الهدى الموجود فى القرآن هو المقصود ففيه هدى وشفاء للمؤمنين .

أما الذين لايؤمنون فلن تتخطى كلمات القرآن أذانهم . ولن تؤثر فى حياتهم بشىء . سواء كان هذا القرآن باللغة العربية أو بلغة أخرى .

واضرب مثالاً لبعض ما واجهنى اثناء كتابة هذا الكتاب . فكلمات مثل (العقل) و(القلب) و (الفؤاد) أصبحت متداخلة المعنى فى تجربة الناس اليومية . وربما كلمة مثل (الفؤاد) نراها فى التراث والادب قد استخدمت للدلالة على الشعور .

وأصبح القلب الذى هو مسئول عن الفكر والعقل يستخدم للتعبير عن الشعور . نتيجة لذلك نسيت كلمة (الفؤاد) . وتغيرت وظيفة كلمة (القلب) . و أيضا نسيت كلمة (الصدر) الذى هو مكان (الذاكرة) كما فى القرآن .

وتطور الامر الى غير النسيان فنحن الأن نذكر كلمة (العقل) وكأننا نذكر عضواً له موضع محدد داخل جسم الانسان . فهناك من يقول (شغل عقلك) . وبعضهم استبدل كلمة (العقل) بكلمة (المخ) فيقول (شغل مخك) وكأنه ماكينة سنعمل على تشغيلها .

وكأن العقل أصبح ألة .

وهذا مالا معنى له فى لغة القرآن . لأنه ناتج من انتشار (لغة علم النفس) التى يبشر بها الذين لايؤمنون بالغيب .

ومثال يعبر عن دخول مصطلحات جديدة الى اللغة وهو مصطلح أو كلمة (الوعى)

فهى انتشرت بسبب انتشار مصطلحات دين الهند فى العالم فهم ينشرون دينهم باللغة الانجليزية .

فجاءت كلمة **(Consciousness)** وتُرجمت الى اللغة العربية بمعنى كلمة **(الوعى)** . لتعبر عن شىء ما داخل تكوين الانسان . فهى تعنى كما يقولون موقع التلقى أو الاستقبال فى تكوين الانسان .

وأظن أن الانسان الذى أطلق هذا مصطلح الوعى فى الهند . قد أطلقه على (الفؤاد) .

والامثلة السابقة وغيرها هى مصطلحات متداخلة داخل (تجربة الانسان العربى) . يفهم عن طريق مدلولاتها الحياة التى يحياها . ولا ينتبه الانسان الى صحة كل هذه المصطلحات والتعبيرات وغيرها من المصطلحات التى يستخدمها اثناء حياته اليومية . ولكنه يعبر عما فى نفسه بكلمة ما .

أى أنها مصطلحات تعبر عن ما فى نفس هذا الانسان . وعندما يريد علماء المسلمين ايصال الدين الصحيح الى **قلب** هذا الانسان . عليهم أن يستخدموا المصطلحات التى يفهمها هذا الانسان . فيقوموها ان احتاجت للتقويم . أو يستخدموها ان لم تكن فى حاجة للتصحيح أو التغيير . حتى يفهم هذا الانسان بطريقة واضحة مايقوله هذا الداعية أو الامام فيطبق الدين وهو يعرف ما الذى يقوم به .

واللغة كما هو معروف تتغير باستمرار . فتدخل مصطلحات جديدة وتتغير معانى اخرى وتختفى بعضها وهذا نتيجة اختلاط الناس بحضارات مختلفة وتغير ظروف الحياة . ولا يستطيع احد ان يمنع حدوث هذه العملية .

ولهذا فاذا كانت علوم اللغة مواكبة للعصر فهى تعنى بربط جذور الحضارة بحاضرها . وربط الانسان المعاصر بالانسان الذى بدأ الحضارة . عن طريق تفهم الانسان المعاصر لما كان يفهمه الانسان الذى بدأ الحضارة . مع مراعاة التطور ومراعاة ما تمكن الانسان من (معرفته) ولم يكن يعرفه من قبل . وعندما تهمل علوم اللغة فان اللغات تندثر بالتدريج وتستبدل . مثلما اندثرت لغة مصر القديمة أو تتقسم كما تقسمت اللغة اللاتينية من قبل .

أمراض القلوب

مرض القلب هو أن يكون فكر الانسان كله موجهاً للحياة الدنيا . فهو لايقوم بفعل من الافعال الا اذا كان له فيه مصلحة دنيوية عاجلة . حتى لو كان عارفاً بأنه يتبع الباطل ويحارب الحق من أجل الثروة أو السلطة أو غير ذلك .

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ البقرة)

وهنا يصف الله . **المرض** الذى يطلقون عليه الأن **(الزهايمر) فهم أصبحوا فى ظلمات لايبصرون .** وسببه هو الخداع وعدم الايمان واستهزاءهم بالمؤمنين واتباعهم للشياطين من أجل الفوز بالدنيا . وبعد ان يبنوا تجارة أو صناعة رابحة نتيجة الخداع أو غير ذلك من أنواع الخداع. فانهم بهذا يضيئون ماحولهم ثم يذهب الله بنورهم

وهذا المرض لاعلاج منه لانهم لايرجعون .

فى حب الرسول عليه الصلاة والسلام

لنفترض ان الانسان كان مسافراً الى بلد بعيد ليس له فيها أحد . وبعد أن وصل وبعد عناء ويأس بعد أن قضى فترة من الارتباك والضلال . قابل أحد الناس فسأله عن المكان وكيف يربح فيه . وكيف يعيش فيه بطريقة جيدة .

فدله الرجل على الطريقة الأمثل للحياة المفيدة والمريحة والجيدة . وعندما جاء هذا الانسان ليطبق ما أشار عليه هذا الرجل به . وجد صحة ما أشار عليه به ووجد فيه منفعة كبيرة . فكيف سيكون حب هذا الانسان لهذا الرجل ؟ . ليس هناك شك فى أنه سيحبه محبة كبيرة ويقدره تقديراً عظيماً . ولو سمع أن هناك من يسىء اليه لما صدق عليه شراً ابدا . ولعرف أن المسىء اليه ضال وكذاب وخسيس وخبيث وشرير .

فكيف بمن أتى الى هذه الحياة لا يدرى فيها شيئا . ثم وجد فيها شروراً ليس لها نهاية . ولا يتكلم فيها أحد الناس كلمة الا ليضل الاخر ليكتسب من وراءه كما يريد . باستثناء القليل من الناس . فهى حياة مليئة بالخداع والضلال .

ومن السهل على الانسان فيها أن يتخذ طريق الخداع والنفاق وسيلة ليعيش حياة مستقرة . ومن السهل على الانسان فيها أن يتاجر بالدين وبالاخلاق وحتى بالدماء والانفس . وكل انسان فيها له حجته ليقوم فيها بجميع الشرور .

ثم وجد أن الخالق قد اصطفى رسولاً وأعطاه رسالة ليُعلم الناس جميعاً عن كيفية الحياة بطريقة سليمة . وليكونوا من المهتدين والمفلحين . وليخرجهم من الظلمات الى النور . وأعطاهم العلم الذى اذا وضعوه فى اعتبارهم اثناء الحياة .

كانوا مدركين للخير وأسبابه ومدركين للشر وأسبابه .

ولولا هذا الرسول عليه الصلاة والسلام . ولولا رسالة الإسلام . لعاش الانسان فى جو مليىء بالخرافات وبالاحقاد والضغائن . ولما عرف سبباً لهذا .

ولما استطاع أن يتجنب اسباب الشر . ولما نجح فى النجاة من عداوة الشيطان وأوليـاءه . ولما استطاع أن يعرف اسباب الخير . وحتى لو ذهب الى أحكم الناس فى الارض لما وجد عنده إلا كلاماً لا يغنى عن من يسمعه شيئاً .

ولولا منهج الاسلام وما فيه من العلم ومافيه من فهم للحياة العملية للانسان لامتلئت الارض بخرافات لاحدود لها .

ولكن الله ارسل الرسول عليه الصلاة والسلام برسالة العلم والحق والنور والهدى . ليكون هذا فى صالح جميع الناس مؤمنهم وكافرهم .

فانتفعنا نحن (الذين جئنا بعد موته بزمن طويل) بما جاء به عليه الصلاة والسلام وانتفعنا من حياته التى جاهد فيها لنشر رسالة الله بهمة عظيمة مع جمع من المؤمنين الاكفاء والمخلصين رضى الله عنهم جميعاً .

فعظيم التقدير والحب **للرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام** ولمن كانوا معه .

الختام

الدين هو البوصلة التى يوجه على اساسها الانسان حياته . و**القرآن هو مصدر دين الله الحق** وهو النور المبين وهو كتاب الخروج من الظلمات الى النور وفيه شفاء ورحمة . وكما بيّن الله سبحانه وتعالى لنا فان الكافرين والمشركين يسعون لإخفاء نور الله . **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترَىٰ على اللَّهِ الْكَذِبَ وَهوَ يدْعَىٰ إِلَى الْإِسلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهدِي الْقومَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطفئوا نُورَ اللَّهِ بأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ متمُّ نُورِهِ وَلَوْ كرِهَ الْكافِرُونَ ﴿٨﴾ هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهدَىٰ وَدِينِ الحق لِيُظْهرَهُ عَلَى الدِّينِ كلّهِ وَلَوْ كرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ الصف)**

وهم يسعون لذلك لان نور الله يحرر الانسان من سطوة الانسان . ويقوى الانسان المؤمن المتبع لهذا العلم الربانى . لأن الانسان عند اتباعه لهذا الهدى القرآنى الالهى . سيكون على نور . عارفاً بمواضع الخير عارفاً بمواضع الشر .

وعندما يكون الانسان عارفاً فلن تؤثر عليه شرور الشيطان أو شرور الحاقدين والحاسدين والطامعين . ولن يكون لقمة سائغة فى فم أهل الفساد من اهل الدنيا .

وكل انسان له خصوصية باطنية غيبية . لايعرف بها الا كل انسان لنفسه . وليس فيها معلم إلا من يختاره الانسان بنفسه لنفسه .

فهو إما أن يختار أن يعيش بتعاليم الشيطان وأولياءه فيضل ويهلك . أو أن يحيا متعلماً فى طريق الله المستقيم . ويتزود بالتقوى من خلال الاجتهاد فى القيام بالعبادات باتقان . ويتطور فى حربه ضد الشيطان . ويكون ماخفى من سر الانسان فيه خشية لله وانتباه اليه . ويخرج من الظلمات الى النور . وتتضح الرؤية بالنسبة له بالتدريج . فيعيش مطمئناً وحراً من الخوف أو الحزن . ويموت مطمئنا .

وشرط المضى فى طريق الله والفوز فيه وتحصيل الفائدة منه . هو أن يعيش الانسان بقلب سليم (غير مشتت) راجياً الخير للجميع وأن يكون سعيه فى طريق الخير والحق . وأن لا ينافق أحداً وأن لايكذب . وأن يصبر فى حربه ضد الشيطان .

وعندما ثبت المؤمنين وصبروا مع الرسول عليه الصلاة والسلام وعملوا بما فى القرآن من علم وكان همهم الاول هو التزود بالتقوى . قويت حجتهم وقويت قلوبهم واجسادهم . واستطاعوا أن يصبروا على مهمة عظيمة مثل مهمة نشر دين الله فى الارض التى كثر فيها الخبث والظلم .

وما كان الانتصار والتطور الذى شهده العرب قبل وبعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام الا بفضل هذا العلم من الله . وما كانت هزائمهم وتخلفهم بعد ذلك الا انه تحقق فيهم ما روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام عن خوفه عليهم من ان يفتح الله عليهم الدنيا فيتنافسوها فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم .

أما عن كتاب مثل كتابى هذا فانما هو كتاب يشير الى بعض مافى القرآن من نور . وهو كتاب محدود بتجربة كاتبه ولغته وإدراكه . وربما أخطأ الكاتب فى شىء .

وهذا الكتاب هو نتاج بحث استمر ما يزيد عن الثماني سنوات . ولقد أثرت أن اختصر قدر الامكان ليكون هذا الكتاب صغيراً ومركزاً . ليوجه عقول المؤمنين الى قراءة القرآن على أساس مستقر . عارفين بما يدور حولهم من اساطير مضادة لما فى القرآن . وفى ظنى أن كل كاتب كتب عن القرآن . انما ظن أن كتابه نافع وبه خير لم يوجد فيما كان قبله من الكتب التى كتبت عن القرآن الكريم . وربما كان هذا صحيحاً وربما كان غير ذلك .

وقد كتبت هذا الكتاب . ووضعت فيه شيء من **حكمة القرآن** التى أدركتها فى سنوات متواصلة من البحث . فأخرجتنى من الحيرة والجهل الى الاطمئنان ووضوح المعرفة . وعرفت أن لما قد فهمته وأدركته فائدة فى تقويم حياة الانسان . وتمنيت لو كنت قد عرفت هذا من قبل . فكتبت هذه الفائدة فى هذا الكتاب . وأرجوا أن لايوجد بالكتاب الكثير من اللغو . وأن لا أكون قد أخطأت أخطاءاً مؤثرة .

وإننى أرى أن ما فُهمته من القرآن فى تفصيل هذه النقاط التى هى موضوع هذا الكتاب مع قليل علمى بعلوم اللغة و الحديث وعلوم الدين المتواترة عن علماء المسلمين . انما هو نافذة صغيرة . اذا نظر خلالها أهل العلم بما لديهم من معرفة مستقرة ومتطورة بهذه العلوم فسيرون تفاصيل مهمة لم ينتبه اليها الكاتب . فكما كان يقول أحد المشايخ غفر الله له ولسائر أهل الخير (رُب حامل علم الى من هو أعلم منه) .

ومن المؤكد أنه عندما تغيب **الحكمة** . فإن كل متحدث إنما يتحدث بهواه .

بين متشدد يخاف من تبدل اصل الدين ويرى أن المحافظة على مظاهر السابقين هو الوسيلة الأمثل والأمنة للمحافظة على أصل الدين .

وبين متساهل يهوى التساهل واتباع الهوى والسقوط فى بئر الشيطان المظلم حيث لا وجود للحدود ولا وجود للعلم .

أما عندما نضع الحكمة فى موضعها .

فحين نتكلم فنحن لانتكلم بخوف أو هوى أو ضلال . لأن الحكمة هى الإطار الذى يقاس عليه مشروعية الفعل أو عدم مشروعيته . وحين نتحرك داخل حدود هذه الحكمة سنفوز بالفائدة ونتجنب الضرر .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا . ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير . ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير . ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم إنا نعوذ بك من شياطين الانس والجن . فاللهم طهر صدورنا من خبثهم وشرورهم . اللهم تقبلنا فى عبادك المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان . اللهم تقبلنا فى عبادك المتقين المهتدين الصالحين المحسنين . اللهم تقبلنا فى عبادك العلماء الذين يخشونك . اللهم تقبلنا فى عبادك المحبين المحبوبين الاعزاء المنصورين . وتقبلنا فى عبادك التائبين التوابين . رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين وارزقنا وانت خير الرازقين وانت على كل شيء قدير وتب علينا انك انت التواب الرحيم .

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . سبحان الله عما يشركون . سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (وَالْعَصْرِ ۝{١} إِنَّ الْإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ ۝{٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝{٣} العصر)

بدأت كتابة هذا الكتاب يوم ٤ جمادى الاولى ١٤٤٣ هـ – الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٢٠ م

تمت كتابته يوم ١٢ ربيع الاخر ١٤٤٣ هـ – الموافق ١٧ نوفمبر ٢٠٢١ م **ثم تم تعديله فى اوقات مختلفة**

الموقع الذى نسخت منه ايات القرآن http://qadatona.org/ar/search .

وفى حالة وجد القارىء الكريم أية أخطاء فكرية أو دينية فى الكتاب فارجوا منه ارسال توضيح بذلك فى رسالة الى omrweb@gmail.com

وكذلك الامر اذا وًجدت اية تساؤلات والله ولى التوفيق . (٤ربيع أول ١٤٤٤ – ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٢)